الإسلام والشباب

٢

# الشباب
# والمذاهب المعاصرة

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
للمساجد وشئون القرآن

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : الشباب والمذهب المعاصرة
اسم المؤلف : منصور الرفاعى عبيد
14 x 20 سم . 140 ص .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2000/16558
اسم الناشر : **الدار الثقافية للنشر**

Al- Shabab Wa Al-Mazaheb
Mansour Obied
14 x 20 cm.140 p.
ISBN: 977- 339 - 017 - 9

**الطبعة الأولى**
1422 هـ/ 2001 م



**الدار الثقافية للنشر - القاهرة**
**ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4172769 - 4035694**
Email: nassar@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

## إهـــداء

إلى كل الشباب ، فى كل مكان ، تبصرة وذكرى ، فالذكرى تنفع المؤمنين .

أقدم هذا العلم إليكم ؛ لنتعاون سويا على عرض أي مشكلة على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وسوف تجدون الحل الذى يريح وتطمئن إليه النفوس .

فتعالوا بنا يا شباب ننهل من كتاب الله الذى أحكمت آياته وفصلت أحكامه ، وفيه تبيان كل شىء ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

**منصور**

## المقدمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ وبعد

أيها الشباب النجيب من حبنا لك ، وحرصنا على منفعتك ، نقدم لك هذا الكتاب ليكون كالدليل بين يديك ، يُبين لك أن الإسلام الذى تؤمن به له منهج .

هذا المنهج لا لبس فيه ولا غموض ، كلماته مُيسرة ، واضحة مفهومة ، ومع أنه منهج حياة ، فأنت عندما تقرأ فيه ، كأنك تقرأ فى طوية نفسك وإن استمعت إليه ، فكأنك تستمع إلى همس خاطرك ، وأنت تقرأ فى هذا المنهج ، لك ثواب كبير وأجر عظيم لأن الرسول ﷺ أخبرنا أن من قرأ فيه كلمة فله بكل حرف منها عشر حسنات ، لأن القرآن الكريم كلام الله ، من قال به صدق ، وهو فيه نبأ من قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، لذلك ، رأينا من الأفضل أن نعرض المشاكل المستحدثة على الساحة على القرآن الكريم ، وسوف نجد ، إن شاء الله لكل مشكلة حلاً ، ولكل سؤال جوابًا ، فالقرآن الكريم ، تنزيل رب العالمين . . والله هو الذى خلقنا ، وأدرى بما يصلح أمرنا ويحقق لنا السعادة فى دنيانا ، ويوضح لنا طريق الخير الذى يرقى بمستوانا ، ويحقق لنا أمانينا ، لأن القرآن

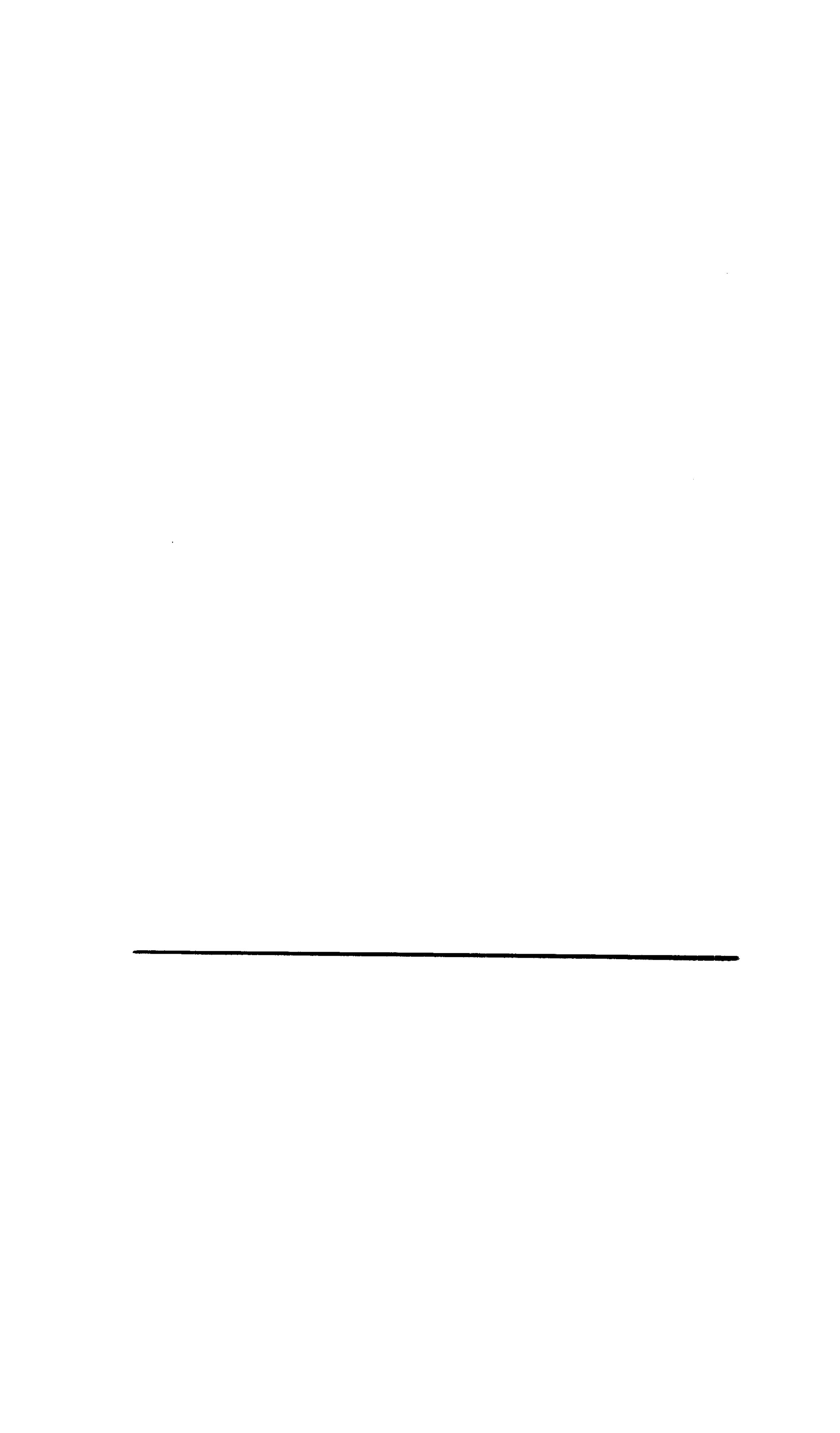
الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فُصلت من لدن حكيم خبير وهو سبحانه القائل لنا : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام ٣٨)]، والقرآن الكريم هو معجزة النبي محمد ﷺ الذى تحدى به العرب عند نزوله ، ولأن سيدنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء فلا نبى بعده ولا رسول ، وبالتالي فهو النبي العالمي ، لهذا كانت معجزته ﷺ ( القرآن ) يتلاءم مع كل زمان ومكان ، وكان النبي ﷺ بأقواله وأفعاله هو الشارح والمفسر لهذا القرآن ، لهذا فإن السنة النبوية وهى أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته موضحة للقرآن ، لأنها وحي وإلهام وتوجيه من الله رب العالمين ، لذلك نَصّ القرآن الكريم على أن نلتزم بما جاءنا به النبى ﷺ وذلك فى قول الله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر ٧] ، وكذلك فى ما أشار إليه الحق من أن النبي محمدا ﷺ هو القدوة الذي يجب أن نُقلده وأن نسير على هداه ، فقال الحق سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب ٢١].

ولقد كان الرسول ﷺ يهتم بتربية الإنسان وإبراز الخصائص الإنسانية فى الفرد : بمعنى تنمية قدراته وتكاملها لينهض الإنسان بالمسئولية الملقاة عليه نحو نفسه - ونحو مجتمعه - ولن يستطيع الإنسان ذلك إلاّ إذا تكاملت الشخصية تكاملا يتفاعل معها مجموعة من العوامل الجسمية ، والعقلية ، والاجتماعية ،

والوجـدانيـة، من هنا، رأينا من الواجب علينا أن تكون هذه السلسلة بين يديك أيها الشاب، لتعينك على ما نرجوه لك من خير وهناء وسعادة ورقي وتقدم.

سائلين الله سبحانه أن يبصرنا بأمر ديننا وأن يأخذ بيدنا إلى طريق الخير والرشاد.

**منصور**



# الفصل الأول

## الشباب

لم تعـرف الإنسـانيـة خـلال رحلتـهـا الطويلة أي تنظيـم اهتم بالشـبـاب وعُنى به كمـا هو الحـال فى الإسـلام الذى حـمله إلينا سيدنا محمد ﷺ .

وقد كان من توجيهاته : « استوصوا بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئـدة وألين قلوبًا ، وإنى لما بعثت حـالفنى الشـبـاب وخـالفني الشيـوخ ، ثم تلى قـول الله تعـالى : ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[الحديد : ١٦] .

والحـديث وإن كـان مـرفـوعـا إلاّ أنه يعطي مـلمـحًـا للعناية بالشـبـاب ، وأن يعطف عليـهـم الكبـار ، ويرشـدوهم برفق ، ويتعاملوا معهم بلين .

### لماذا ؟

لأن الشـبـاب يعـيش فى مـرحلة يسـمـيـهـا البـعض ( بمرحلة الانتقال ) ويسـميها البعض الآخر بمرحلة المراهقة ، حيث تظهر تغيـرات جسـدية ويحدث عند الإنسـان أشيـاء لم يكـن يراها فى طفـولتـه ، وهذه التـغـيـرات تُحـدث عند الإنســان الفـزع والاضطراب، والاندفاع ، وأحيانا عدم السيطرة على النفس ،

إلى غير ذلك من الأمور ، الأمر الذى دعا نبي الإسلام، وهو المعلم العظيم ، أن يوجه الشباب إلى الصيام ، لأنه يعلم الإنسان، ضبط النفس ، وصحوة الإرادة ، ويقظة الضمير . ويُرّغبه دائما فى العلم الجاد ، مثل ، الألعاب الرياضية ، قراءة القرآن الكريم ، وقبل ذلك وبعده ، المحافظة على الصلاة ، لأنها عماد الدين ، ولأنها تدرب الإنسان على تنظيم وقته ، وضبط مواعيده ، ثم ، هى تعلم النظافة فى النفس والجسم والملبس والمكان والبيئة ، وكان من توجيه الله تبارك وتعالى فى هذا المجال : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة : ٤٥].

## الغرض

والغرض من كل هذه العناية بالشباب ، لأنهم عماد الأمة ، هم نصفها اليوم وكل الغد ، لذلك فهم مستقبل الأمة فعلى أكتافهم تتطور الأجيال وتزدهر الحضارات ، وبإنتاجهم وعلمهم وأعمالهم تنهض الأمة وتتبوء مكان القيادة والريادة ، وبالشباب تتواصل الأجيال ، لذلك ، أمة بلا شباب أمة لا مستقبل لها ، وأمة يُصاب شبابها بالأمراض الخلقية والانحرافات النفسية ويعرفون المخدرات ويصابون بالتطرف والانحراف ، أمة حكمت على نفسها بالضياع، ولذا فإن العقلاء هم الذين ينهضون ويخططون للنهوض بالشباب وإصلاح شأنه ، ووضع

برامج محددة لهذا الشباب ، مع وضوح الهدف أمام عينيه حتى يسعى إلى الوصول إلى الهدف بوسائل نظيفة وقوة وعزيمة .

## الدين .. العلاج

إن قضايا الشباب التى طُرحت على الساحة وفى كل يوم نسمع عن قضايا جديدة عندما تجتمع كل هذه القضايا أمام أعيننا نجد أن العلاج لها سهل وبسيط ، كيف ؟، نقول ، الإيمان بالله هو العلاج ، لأن الإيمان قوة تعصم الإنسان عن أن ينحرف عن مبدئه ، أو أن يضل عن غايته ، أو تختلط عليه الأمور ، فالإيمان بالله ( كشاف ) ينير نفس الإنسان من الداخل ويصحح المفاهيم المغلوطة ، ويعطي المشكلة حقها ويواجهها بصراحة ويضع لها العلاج الذى فيه الشفاء والخير والسعادة والهناء ، وصدق الله العظيم : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾[ الإسراء : ٨٢] .

## روشتة العلاج

إن المريض إذا ذهب إلى الطبيب كتب له ( روشتة علاج ) فيذهب إلى الصيدلية ويأتي بالعلاج ، فإن تعاطاه بدقة وانتظام ، شفى من مرضه ، وعُوفى من دائه لأن الرسول ﷺ قال : « يا عباد الله تداووا فإن الله ما خلق من داء إلاّ وخلق له دواء إلا الهرم » .

إذا كان الأمر نفعله ونتعايش معه ، نفس الأمر والموضوع فى

الأخلاق والتربية والتعليم والإرشاد والتوجيه ، لأن هذه الأمور تنفع النفس وتفيد العقل وتغذي الروح ، والعقل يمرض والروح تمرض والقلب يمرض ، وهذا المرض الروحي له أطبـــاء وله علاج ، فأطباء هذا المرض هم ، أنبياء الله ورسله ،« والعلاج » مكتوب فى الكتب التى حملوها إلينا ، فمن أخذ من هدى الأنبياء ، وعمل بما جاء فى كتبهم ، شُفى وعوفى لأن الله تعالى شخّصَ هذا المرض بقوله : ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة : ١٠] ذلك لأن المنافقين عندما شخَّص الله مرضهم لم يعترفوا ولم يأخذوا العلاج الذى وصفه الله لهم فى قوله سبحانه : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [ الإسراء : ٨٢]. لذلك فإن مرضهم يزداد. كالمريض الذى لا يأخذ العلاج وهو موجود بجواره .

## القرآن

القرآن إذن وضع العلاج لكل المشكلات الشبابية والقضايا التى تُثار بين الحين والحين ، لأن القرآن الكريم كتاب جامع ، فيه نبأ من قبلنا . وخبر ما بعدنا ، يقول عنه مُنزله : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٨]. وعندما يقرأ الإنسان فى القرآن كأنه يقرأ فى طوية نفسه ، ومن يستمع إلى القرآن وهو

يتلى فكأنه يستمع إلى همس خاطره ، والقرآن الكريم معجزة النبي محمد ﷺ ونحن نعلم ونؤمن بأن سيدنا محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية . فليس هناك وحي ينزل من السماء بعد القرآن ، ولذلك فإن القرآن ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] .

ولهذا فإن الرسالة المحمدية رسالة عالمية . والقرآن وإن كان نزل بلغة العرب لأنها اللغة السامية ، والتى تتميز بالوضوح وجمال التعبير ، فإن العرب كانوا هم الجسور الموصلة لهذا القرآن إلى العالم أجمع ، وصدق الله العظيم الذى يقول لحبيبه ومصطفاه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ومحمد ﷺ وإن كان عربي المولد لكنه عالمي الدعوة والفكر فهو لم يتعصب لقوم ولم يحرص فى حياته أبدا على إثارة نزعة قبلية ، ولم يكن رجلا إقليميا ، ولا زعيما وطنيا فى بيئة معينة محدودة ، كما أنه لم يكن من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها أو يتسللون إليها من نوافذها ويكافحون بعض الأدواء الاجتماعية والعيوب الخلقية ، لكن النبي محمدا ﷺ جاء إلى الدنيا وهى تموج باضطراب عقائدي وتفسخ اجتماعي ، فجاء بدين يقود المجتمع كله إلى ساحات الحق والعدل والمساواة ، وبيده كتاب يعلن عنه : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] وقد دعا النبي ﷺ

العرب إلى تعلم اللغات واللهجات العالمية مؤسسا ذلك على عالمية الدعوة الإسلامية وأن تبليغ الناس الدعوة يجب أن يتفق مع لغة المخاطبين ، ولقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على الخلق العالي والأدب الرفيع وغرس فى نفوسهم أنه ليس للعرق أو اللون أو الجنس أو القوة أي رجحان فى موازين الكرامة الإنسانية ، وإذا كان العرب الذين نزل القرآن على رجل منهم عاشوا أحرارا فى بلادهم لم يستعبدهم أحد ولم يستذلهم أى إنسان ، لأن الدعوة إلى الله شعارها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

والإسلام لم يقم مبدأ الأخوة على أسس نظرية فقط وإنما حولها إلى وضع اجتماعي عملي فهذا أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وهؤلاء يمثلون قارات العالم آنذاك ، لقد تساوى فى ذلك الغني والفقير والسيد والعبد والرجل والمرأة ، فكل له حق وعليه واجب ، والقرآن الكريم منهاج حياة المسلم وهو مُبرؤ من نتائج الهوى الإنساني لأن تشريعاته للإنسانية كلها فى كل زمان ومكان . وهو المعجزة الخاتمة الخالدة تحدى بها رسول الله ﷺ العرب ومن بعدهم وحتى تقوم الساعة ، والناس جميعا مطالبون أن يؤمنوا بالإسلام ، لأن منهجه هو صوت السماء بين الناس إلى أن تقوم الساعة .

وتأمل فى آيات القرآن وأنت تقرأها فسوف تجد الصدق والصدق وحده ، لأن القرآن الكريم حوى كل شىء بدقة وأمانة، لأن الذى حمله إلينا صادق وأمين فالإنسانية كلها تعرف تاريخ هذا النبي الخاتم، لأن التاريخ حوى كل شيء بدقة عن حياة سيدنا محمد ﷺ من عهد أجداده ، إلى زواج أمه بأبيه ، ثم فى نشأته وشبابه وعلاقته بالناس والمجتمع فحياة الرسول ﷺ كلها معلومة لا يخفى منها شيء حتى فى نومه وغسله ووضوئه وهيئة فراشه وملاطفته لأهل بيته والعيون فى الخارج كانت ترصده فما يكاد يُفتح باب بيته إلاّ والناس يسجلون عنه كل شيء حتى حركات يده وقسمات وجهه ولطفه وصحته وقعوده وقيامه . .

ولم يكن هو ﷺ يكتم عن الناس شيئا من حياته أو يحفظ عنهم أسراره ، لذلك نرى أن هذا النبي العظيم هو الذى أنصف الأنبياء الذين سبقوه ، وتحدث عنهم بصدق وعن جهادهم وكفاحهم، وآمن هو برسالتهم وبهم ، وأمر أتباعه كذلك : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

## أسلوب العلاج

إن القرآن الكريم ذكر لنا نماذج من البشر ، ليكونوا قدوة

لشبابنا ، لأن القدوة أبلغ فى التأثير على الشخص من الكلام ، وقد قيل قديما (فعل رجل فى ألف رجل ، خير ، من قول ألف رجل لرجل) ، لذلك قال الله سبحانه وتعالى لنا بعد أن ذكر الكثير من الأنبياء : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٩٠].

وأول ما يطالعنا أهل الكهف ، وهم قوم قال عنهم الحق سبحانه : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[الكهف : ١٣].

أنهم وجدوا قومهم يعبدون الأصنام ، ولم يعجبهم ذلك لأنهم أحسُّوا بالفطرة ، وبمنطق العقل السليم ، أن الصنم لا ينفع ولا يضر ، لأنه مصنوع من الحجارة أو الحديد أو الخشب ، ثم هم ، لم يحاولوا أن يستعملوا العنف مع قومهم ، لذلك اعتزلوا الناس وفى أحد الأيام كان الناس يشربون الخمر ويرقصون ويرتكبون الفواحش علنًا ، ولم يعجب الشباب ذلك ، فتركوا الناس وما هم فيه وذهبوا إلى جبل ودخلوا إلى كهف وألقى الله عليهم النوم فناموا واستمروا نائمين ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا ثم بعثهم الله مرة أخرى إلى الحياة ليكون هذا هو الدليل القوي أمام الناس على قدرة الله على إحياء الأموات وإعادتهم للحياة ، وهذا دليل القدرة الإلهية .

وتوجيه هذه القصة للشباب يقول لهم ، تحلوا بضبط النفس ، ولين الكلام ، وليكن معكم دليل قوي عندما تديرون حوارا

بينكم وبين الملحدين . ومع اعتمادكم على الله فعليكم أن تتزودوا بالعلم النافع المفيد ، علم الدين والدنيا معا ، لأن الله سبحانه وتعالى يجعل عمل الدنيا دليلك إلى الجنة وصدق الله العظيم : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ٦٣] .

وأهل الكهف لم يكونوا أنبياء وإنما كانوا شبابا فى مرحلة الفتوة والتغير الجسماني إلى غير ذلك ، لكن الإيمان فى قلوبهم ، قَوَّى عزائمهم . وأيقظ ضميرهم وجعلهم يعرفون الخير من الشر والنافع من الضار .

ثم هناك إسماعيل ، الفتى الذى كان يتطلع إلى الحياة وعنده أمل فى غد مشرق يتحقق له فيه ما يتمناه فهو يريد أن يفرح بشبابه وأن يحتضن الحياة بذراعيه ، وبينما هو كذلك فى أفكاره وتطلعات الشباب إذا بصوت الأب يأتى إليه ويناديه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات : ١٠٢] . ما هذا الذى يسمعه الشاب ؟ الذى وقف ينظر إلى الحياة ويرسم فى خياله حياته المستقبلية أعند الحلم الجميل يستيقظ هذا الفتى على هذه اللغة التى يرددها أبٌ عجوز وشيخ متقدم فى السن ليس له فى دنياه إلاّ هذا الفتى ، ويتلفت إسماعيل ويعرف مصدر الصوت إنه الأب المحترم الذى يسمع الابن له ويطيع ولا يعصي له أمرا وهذا خلق يجب أن يتحلى به الشباب ، طاعة الأب والأم

والمعلم والواعظ ، لأن هؤلاء أعرف بمصلحتك منك بما لهم من خبرة وتجارب . وإذا كان الأمر لم يرض رغبتك فأقم حوارا هادئا واستوضح ما خفى عليك فإن اقتنعت وإلاّ . برر رأيك وبين حجتك ، وهكذا يجب أن تكون العلاقة بين الآباء والأبناء علاقة حب وسمع وطاعة ولهذا قال إسماعيل لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] . وتجد أن إسماعيل الشاب لا يتردد ولا يهتز ولا يضعف رغم رؤيته للسكين فى يد أبيه لكن إسماعيل يطيع والده معتمدا على مشيئة الله معلنا لأبيه أنه صابر ، لأن الصبر علاج وضياء وبعد الصبر يأتي الفرج والصابر له أجر بلا عَد ولا حد . وعلى هذه الأسس جاءت النتيجة المفرحة أن الله سبحانه وتعالى فدا إسماعيل بذبح عظيم وقال لنا مُذكرنا بإسماعيل : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤-٥٥] . ثم هناك يحيى عليه السلام الذى ألهمه الله الرشد فتعلم وقرأ وكان يمتلئ حنانا على الناس وقد قال الله فى شأنه : ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم : ١٢-١٤] .

وقد ذكره الله ليكون قدوة لشبابنا ليتعلموا من سيرته ، كيف

يتعاملون مع الناس بالحنان والطهارة وصدق الكلمة وأمانة الحديث ، بل وهناك عيسى (عليه السلام) الذى قال الله لنا عنه أن أمه بعد أن ولدته وخاض الناس فيها وخرجت تحمله طفلا رضيعا بين يديها وتطاول السفهاء عليها فلاذت بالصمت وأشارت إلى الوليد كما يقول القرآن : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم : ٢٩-٣٢]

## لكن

كأنني أسمع همس بعض الشباب وهم يقولون ، أنتحدث عن هذه النماذج ونحن فى وسط دوامة من الطغيان المادي الرهيب الذى اكتسح فى طريقه كل أعرافنا وتقاليدنا ، ومن هنا اختلت موازين الثقافة فى فكرنا وأثر ذلك فى سلوكنا وأصبحنا نُواجه بفكر من هنا وهناك ، لأننا نعيش فى عصر السماء المفتوحة والانترنت الذى دخل إلى بيوتنا والتلفزيون الذى دخل إلى غرف نومنا ، وها هى أجراس الخطر تدق فى آذاننا فكيف ؟ وكل ذلك حولنا .

وأبادر فأقول لهؤلاء الشباب ، إن الدين كما يقول الشاعر الباكستاني العظيم :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحى دينا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

تأمل فى قول الشاعر ( محمد إقبال ) وهو يرشدك بصريح العبارة إلى أن الدين صمام أمن يغلق فى نفسك طاقات الشر ، والدين منهجه القرآن وقد قال الشاعر الكبير أحمد شوقي وهو يخاطب رسول الله ﷺ :

إذا زرت بعد البيت قبر محمد وقبّلْتَ مثوى الأعظم العطرات

فقل لرسول الله يا خير مُبعث أبثك ما تدري من الحسرات

بلادك فى شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق ثبات

بأيمانهم نوران ذكر و سُنّة فما بالهم فى حالك الظلمات

إن القرآن أيها الشباب ضرب لنا نماذج من البشر عاشت فى دوّامة الإغراق المادي ومع ذلك لم يشغلهم ذلك ولم يفتنهم ، لأن الإيمان عصمهم من الوقوع فى الخطأ ، والإيمان حصن حصين يحول بينك وبين الوقوع فى الجريمة إذا كان عندك عُلُوُّ الهمة وشرف الغاية التى تسعى إليها وطُهر الوسيلة التى تتخذها ، وقديما قيل :

لا يعرف الحقد من تَعْلُو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغدر

وإن من طلب العلا سهر الليالي يُحصّل العلم وينقب فى بطون الكتب ويتزود بالعلوم النافعة لهذا فإن المؤمن عنده فراسة وكياسة وبعد نظريعرف ما ينفعه وما يضره ومن رحمة الله بنا أن

السموات المفتوحة والقنوات الفضائية والإذاعة المبثوثة والإنترنت والتلفون المرئي مفتاح كل ذلك بيدك أنت ، ومما لا شك فيه أن كل هذه الأشياء فيها الخير وفيها الشر ، فيها النافع المفيد وفيها الخبيث المضر ، ومن رحمة الله بك أنه منحك الحرية وقال لك حريتك لها ضوابط وحدود فعليك أن تضبط حريتك كما تضبط ساعة يدك لأن الحرية المتفلتة هى ضياع للفرد وهدم للأخلاق ، وعندك كذلك إرادة بها تتحكم فى نفسك وتضبط غرائزك على قيم الدين وآدابه ، وإليك نموذج :

## يوسف

فتًى عصفت به الأقدار ، أحبه الأب . وتآمر عليه الإخوة ، وقالوا لبعضهم : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف : ٩]. وتأمل فى سياق القرآن وهو يحكي عن الطبائع النفسية التى تمتلئ بالحقد والشر ، هذه النفوس تعلن أنهم بعد أن يقتلوا يوسف يكونون من الصالحين ، يا سبحان الله ! ، كيف يأتي الصلاح لنفوس أيدى أصحابها ملوثة بدماء الأبرياء ، لكن تم المراد ، وأخذوا يوسف ورموه فى الجب ، ظنا منهم أنه سيموت فى الجب وتختفى معالم الجريمة حيث لن تظهر جثة يوسف ، والفاعل مجهول ، وهكذا سوّلت لهم أنفسهم ، لكن مشيئة الله وإرادته

أنقذت يوسف من الجب ، عندما مرّ بعض الناس وأدلى دلوه
ليحصل على ماء من البئر وتعلّق يوسف بالحبل وخرج من الماء ،
وفرح الذى وجده لأنه سيبيعه ويحصل على مال ، ولأن العبيد
عند بيعهم كان البائع يقدم صكًا على نفسه أن هذا الغلام مُشترى
من فلان ابن فلان ، ولما كان البائع لا يملك هذا الصَّك لذلك
باعه بثمن بخس ، لأنه زاهد فيه ، ويحتاج الدراهم فهى أنفع
له ، وكان حظ يوسف أحسن وأجمل ، فلقد اشتراه وزير من
وزراء مصر ، وذهب به إلى بيته وأمر زوجته أن تكرمه ، لأنه
يظهر على هذا الشاب علامات النجابة والذكاء والأدب والحياء ،
وعاش يوسف فى بيت العزيز ، كلما تقدمت الأيام ، ظهر حسنه
وجماله وأصبح فتىً يملأ العين ، جسم ممشوق ، وقوام معتدل .
وجمال ظاهر ، كل ما فيه يصور الجمال بأدق معانيه ، ولأن
العزيز مشغول باجتماعاته ورحلاته وأعماله وكان لا يصطحب
زوجته معه . فأصبحت قعيدة بيتها وأصبح يوسف أمام عينيها
ترى فيه ما يشبع رغبتها ، ويروي ظمأها . ويؤنسها فى وحدتها
ويرد عليها شبابها الذى أصبح يذبل يوما بعد يوم ، وبدأت المرأة
تنصب شباكها وترمي بحبالها وتبدي من محاسنها وتغدق عليه
المال ، لكن يوسف كان دائما يرى برهان ربه فى قوة عقيدته
وحسن صلته بالله ورعايته لحق الرجل الذى اشتراه لذلك كان
دائما يبتعد عن طريقها ويهرب من المواجهة رغم أنه يعيش معها

تحت سقف واحد ، فلما فاض بها الكيل ، أغلقت الأبواب وتجملت وأسدلت الستائر ونادت على يوسف فى غرفة نومها فدخل عليها فقالت له تهيأت لك لأنني ما أكرمتك ومنحتك كل شيء إلاّ لأسعد بك فى هذه الخلوة ، فصاح يوسف : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[يوسف : ٢٣] .

ولك أن تتأمل ، زوج غائب ، وأبواب مغلقة . وأستار مسدولة ، وليس فى البيت أحد لكن الإيمان القوي فى قلب يوسف جعله يشعر برقابة الله عليه وعلمه به ورؤيته له ، لذلك لم يقبل أن يرتكب الخطأ ويقع فى المعاصي ، فهددته بالسجن الذى هو عذاب للنفس وتقييد للحرية وفيه العمل الشاق ، لكن يوسف أعلن رضاه بالسجن وقال : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[يوسف : ٣٣]-ويامـا فى السجن مظاليم- ودخل يوسف السجن ، ومع ذلك بدأ يمارس توجيه الناس إلى سلامة العقيدة وصحة اليقين ويقظة الضمير وصحوة الإرادة ، وقال للسجناء : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٣٩-٤٠] . وتأمل يوسف يحدد صحة العقيدة فى عبادة الله الواحد وأن الدين هو القيم على النفوس يسوسها إلى فعل الخير ويدفع بها إلى السمو الروحي ، ولكن هل يا ترى يبقى يوسف فى السجن ؟ لا .

لأن يوسف اعتصم بالله ولاذ به وتوكل عليه ، إذًا فلن يتخلى الله عنه ؛ لأنه سبحانه القائل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق : ٢-٣] .

بعد أيام ظهرت براءة يوسف وأعلنت زوجة العزيز أنها كانت مخطئة فأفرج عن يوسف وتبوأ مكان القيادة والريادة فى مصر وتولى أكثر من وزارة فى وقت واحد وأصبح على خزائن أرض مصر ، لذلك نقول لشبابنا إياكم واليأس فعليكم أن تثقوا بأن موجة التغيير للإصلاح آتية بكم ومنكم وعلى أكتافكم ؛ لأنه فى الغد إن شاء الله سيكون منكم الوزراء والكتاب والمفكرون والمخططون للبرامج وقادة الصحف وكل شيء فى الدولة ، فإن حصّنتم أنفسكم من الآن بالإيمان وخططتم لمستقبلكم وحسّنتم علاقتكم بالله فنجاح الأمة . إن شاء الله على أيديكم ، وقصة يوسف أمام أعينكم ، لأن مصر كانت معرضة لأزمات اقتصادية طاحنة تحتاج إلى عقل سليم وفكر منظم وتخطيط دقيق على مدى سبع سنوات لتعبر هذه الأزمة بسلام وأمان فجاء يوسف وخطط ونظم بالعلم والمعرفة والثقة فى الله والاعتماد عليه ونجح يوسف وعبرت مصر الأزمة بسلام لأن الإيمان إذا ملأ القلوب صنع الرجال الذين يحققون المعجزات .

## نموذج آخر

سيدنا صالح عاش فى قومه وهم أهل غنى فاحش فقد كان قومه كما يقول القرآن عن قوم ثمود الذين منهم صالح : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[ الأعراف : ٧٤].

وصالح لم يلهه الترف المادي لأنه كان يؤمن بأن الإنسان الذى كرّمه الله وفضّله مستحيل أن يكون قد خلق للهو واللعب . . فالحياة الدنيا مزرعة ، والآخرة يحصد فيها الإنسان ما زرع . . فمن زرع وردا جنى وردا ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦]. ومن زرع الشوك والشجر المر جناه كذلك بيده ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[ يونس : ٢٧].

لذلك نجد أن صالحا بدأ يزرع الخير ويُنمي الفضائل فى نفوس الناس ويحثهم على عدم الإفساد فى الأرض لذلك طابت حياته وسعدت دنياه وفاز بالفلاح .

إذن يا شباب لا يخدعكم من يقول لكم إن الإصلاح مستحيل . لأن هذه الكلمة تقتل فى أنفسكم الأمل ، ولكن

كـونوا على ثقـة من ربكم ، وتعـالـوا نجـرب الإيمان الذى حـمله سيدنا محمد ﷺ إلى العرب ، وكانت العرب يومها فى جاهلية جـهـلاء المرأة فى المجـتـمع لا ترد يد لامس . والخـمـر كـالماء لا اعتراض على أحد عند شربه ، والربا يتعامل به ، والقمار يُلعب أمام البيوت وفى الشوارع وفى النادي ، واستطاع محمد ﷺ بقوة إيمانه وبثقته بربه ، وبعزيمته أن يغير وجه المجتمع العربي بل وجه البشرية كلها .

## الميراث

قـد يقـول البـعض بأن مـحـمـدا نبي وهذا حق فـهـو مـؤيد من السمـاء ، وهذا النبي العظيم تركنا على المحجة البيضـاء ، الحلال بيِّن والحرام بيِّن . . وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبـهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، والنبي ﷺ ترك لنا ميراثا ضخما عظيما يتمثل فى :

١ - القرآن الكريم ، وهو كتاب واضح العبارات ، شرح الله لنا فيـه الأسلوب الأفـضل لمسيرة حيـاتنا ، ووضع لنا القـواعـد العامة لتربيـة النفس ، وتهذيب الضمير ، والعلاقات الاجتماعية بين الفـرد والفرد وبين الفرد والجماعة . والجماعـة والفرد ، كما بيّن لنا عـلاقـة الدول مع بـعضـهـا ، وحـدد لنا أفضـل أسلوب لبناء الأسـرة ، لأنها الخلية الأولى فى بنيان المجتمع وتركيبه إلى غير

ذلك من القيم الثابتة والأخلاق الفاضلة حتى صلة الإنسان بالكون الذى يعيش فيه ويتعامل مع ما فيه .

٢- كما أن من ميراث النبي ﷺ بعد القرآن السُّنة النبوية ، وهى عبارة عن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وما أقر فعله من أحد الصحابة .

ولو أن أي منصف للحقيقة ، وأي مصلح اجتماعي بحث فى كل ما كتبه العلماء على مدى العصور والأزمنة للفلاسفة والعباقرة وقادة الإصلاح ثم رجعوا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية لوجدوا أن ما فى القرآن والسنة أفضل للبشرية وخير لها مما كتبه الكتاب واستنبطه المفكرون المصلحون ، وهذا الميراث بين أيدينا فعلينا أن نطبقه على أنفسنا فهو العلاج لحل كل المشاكل .

## فماذا أصاب الإنسانية ؟ !

الذى أصاب الإنسانية أنها تركت كتاب الله وراء ظهرها ، وأقامت دنياها بغير دين فتشعّبت بها السبل وإلى ذلك أشار الحق سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ولم يكن غريبا أمام هذه الحيرة وأمام التسطيح الإعلامي والثقافى والتهميش الديني أن تجتاح حياتنا هذه الهجمة الشرسة من الفنون الهابطة وتسرّبت أفواج الغزو الثقافى إلى عقول شبابنا

ونحن كمسلمين لم نستعد لها لذلك أصيب البعض منا بحالة من الإحساس الشديد بالاغتراب عن وطنه لأن العرف والتقاليد وهما من الأشياء المتوارثة تخلّى الكثير من الناس عنهما ، وأصبحنا نقلد الغرب التقليد الأعمى ، فإن ظهر فى أوروبا فستان للسيدات يسمى ( البرميل ) بدأت فتياتنا تتصارع عليه ، وإن ظهرت موضة ( ميني جيب) ترك نساؤنا الشوال واتجهن إلى هذا وإن ظهر ( الميكرو جيب) تخلين عن كل شيء وارتدينه وهذا مخالف لديننا ولعرف بلادنا وتقاليد مجتمعنا ، لكن ، للأسف إن حاولت نصح أي فتاة يكون الرد عليك **( أنت لسه موضة قديمة)** وعلى ذلك بدأ الاغتراب والإحساس به ، وفقد الإنسان كلمة (المواطنة) لأننا بدأنا نقلد فى الزي وفى أصباغ الوجه وطلاء الأظافر وبدأنا نأكل كل المعلبات كما يأكلون ، لأن التى تطلي أظافر يديها لا تستطيع دخول ( المطبخ ) وبالتالي فقدنا شهية الأكل اللذيذ لأنه من المعلوم أن المعلبات معالجة (كيميائيا ) فتصاب الأجسام بالأمراض وقلة المناعة والسبب ، حب التقليد الأعمى ، والشباب أنفسهم أقدر على تغيير هذا المنهج خاصة إذا اتجهت وزارة التربية والتعليم إلى تثقيف العقول وضرب أمثلة من النماذج الإنسانية باللائي كان لهن دور الشرف فى محاربة الاستعمار والإعلان عن مقاطعة كل شيء أجنبي ليس له صلة بقيم ديننا ولا عرف مجتمعنا مما أقضّ مضاجع الإنجليز فسلطوا

مـدافعـهم الرشـاشـة على بعض النسـوة المجاهدات نذكر منهن السيـدة هدى شعراوي ونبوية موسى وغير ذلك كثير مثل عـائشة التيـمورية وانشراح شوقي وبـاحثة البـادية ، وبفضل هذه النخبة من السيدات وغيرهن كثيرات أخذت النهضـة النسائية تنمو مع الالتزام بقيم الدين وتقاليد المجتمع الأصلية فهل لفتياتنا من هذا الجـيل أن يعـدن إلى تاريخ المرأة الإسـلامـيـة وتكنّ لهن قـراءة لتتعرف الفتاة أن الأدب فضلوه على العلم وأنها خلقت لتكون ربة بيت وأم أولاد ومـربيـة لقـادة العظام والعلمـاء الأفـذاذ ، وأن تتخلى عن التقليد خاصة ما صدّره إلينا الاستعمار من ( خياط ) رجل للنسـاء ، (وكـوافير) لإصلاح شعـر النسـاء، إنها مصـيبة أصـابت الإنسـانيـة فى مسـيرتـهـا فـأوجـدت الخلل الاجـتمـاعي والتفسخ الأسري لأنه كما قال الشاعر :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

والعلاج من كل ذلك أن تعـود الفتـاة إلى حضن مجتمعهـا . وأن تتوقف عن التقليد الأعمى لأن المساحيق تضر الجلد وتسرع فى إبراز التجاعيد فى الوجه ، وطلاء الأظافر يصيب الأصابع بمرض جلدي واسألوا من سبقوكم .

إن الإنسانية وهى تعاني من هذا التمزق الخطير لأنها تركت كـتـاب الله فكان مـا كـان من هذا التـمـزق الروحي والتـفـسخ الاجتماعي ، والعـلاج عودة إلى الدين والتزام بالقيم ، والعلم

بأن ما ينفع الشباب فى الغرب لا ينفع فى الشرق ؛ لاختلاف البيئة ؛ ولأننا نحن لنا ماض نعتز به ، وتاريخ نفاخر به ، وحضارة نعرضها على العالم . إذن ، فعلينا نحن كشباب من الجنسين أن نضع المصلحة أمام أعيننا وأن نعلم أن لنا دينا نعتز به ومجتمعا نحرص على رقيه ودولة نريد أن نرقى بها إلى العلا ونحقق لها المجد ليقول عنا التاريخ نعم الأحفاد للآباء العظام .

## الخروج على الأديان

**أولا : ما هو الدين :**

يطلق الدين على الطاعة لله رب العالمين ؛ لأنه هو الطريقة الثابتة والملَّة المتبعة ، وكلمة الدين تشمل الشرائع التى بعث الله بها جميع رسله ، فيجب على كل مكلف أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الدين من عند الله وأن الله بعث جميع الرسل بهذا الدين ، وكذلك الإسلام وهو الانقياد الظاهري مع الاعتقاد الباطني لكل ما جاءت به الأنبياء ، ثم نؤمن ونصدق بأن سيدنا محمدا ﷺ خاتم الأنبياء إذن فقوام الدين ، ثلاثة : الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ويقتضي الإيمان والإسلام والإحسان أن تؤمن بأن الله واحد ، لا شريك له فى ملكه ، ولا سلطان لأحد عليه ، ليس له ولد ولا زوجة ، ولا يغفل عن خلقه ولا ينام .

والواجب عليك أن تعتقد أن الله متصف بكل كمال يليق بذاته سبحانه فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، الأول والآخر والظاهر والباطن ، ويستحيل فى حق الله تعالى كل نقص ، أو نقول عنه مالم يرد فى كتاب الله .

ومع هذا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أولٌ بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء له الأسماء الحسنى وهو على كل شيء قدير ، وأنه خلق السموات والأرض .

## بداية خلق الأرض

كان الله ولا شيء معه ، وكان عرشه على الماء ، فأراد سبحانه وتعالى أن يخلق الأرض والسموات ، وهما أمام عينيك دليل القدرة، فكانت مشيئته وقدرته أن خلق الأرض بأمره، وأمره إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، ولأن الأرض على الماء جعل عليها الجبال كالأوتاد، ووزع الجبال على الأرض بتوازن واتزان ثم أودع فى الأرض المخزون الاستراتيجى الذى تحتاجه الإنسانية من لحظة نزول آدم وإلى أن تقوم الساعة ، والمخزون الاستراتيجى فى الأرض مثل الحديد والنحاس ، والبترول ، وكل ما يحتاجه الإنسان ، وعند احتياج الإنسان إلى شيء ينير الله العقول بالعلم والمعرفة والخبرة والتجارب فتتوصل إلى المخزون بأمر الله سبحانه .

ولهذا قال ربنا : ﴿ وَمَا من دَابَّة في الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّه رزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ في كتَاب مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] . والحق سبحانه وتعالى خلق كل هذا بمشيئته وعلمه وإرادته وقدرته فى أربعة أيام ، وعلينا أن نعلم ونؤمن بأن المخزون الاستراتيجى فى الأرض يكفى الإنسان ، والجان ، والحيوان ، والنبات ، والطيور ، والهوام وكل شيء يحتاج إلى غذاء ؛ لأن الذى خلق الخلق لا يُضَيّعه ، ولذلك تعجب ربنا جل جلاله من الكافرين الذين يزعمون أن خير الله لا يكفى ، . فقال سبحانه : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فُصِّلت : ٩-١٠] . فعلينا أن نؤمن بأن الله الواحد الذى خلق الأرض وبسطها وأمدّها وزوّدها بما تحتاجه من ماء عذب وماء ملح وأشجار ، كل ذلك نقف أمامه ونقول : ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان : ١١] ورزق الله المبثوث فى الكون يحتاج منك أن تستعمل عقلك ، وأن تتعلم ، وأن تسعى بكل قدرتك وإمكانياتك لتحصل على رزق الله لأنه سبحانه لا يمنح رزقه للخاملين . ولا للكسالى ، ولا للجهلة .

من هنا أرشدك أن تسأله العلم وأن يفتح عليك فيمنحك ذلك بشرط أن تؤدي ما عليك له من فروض وأن تلتزم بقيم الدين

وآدابه، ثم تقول : ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [ طه : ١١٤ ]. ثم تتحرك وتنتشر فى الأرض وتسعى وتحصل من رزق الله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥ ].

ويقول أيضا : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠ ].

## خلق السموات

ثم اقتضت مشيئته سبحانه أن خلق السموات « سبع سماوات بين كل سماء وسماء مسيرة مئات الأعوام ، والحق سبحانه وتعالى خلق السموات السبع فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها (وبلغتنا أى أعطى الأوامر فى كل سماء ) ولله المثل الأعلى ولكن هذا من باب التقريب ) ثم زين السماء الدنيا بما نرى من شمس تنير بالنهار ولها قوة حرارية متناسقة متناغمة مع الكون لو زادت عن حرارتها المحددة بدقة فى كل منطقة لاحترقت البيئة ، ولو نقصت الحرارة لهلكت البيئة ، ولكن من رحمة الله بالعالم أنه أعطى لكل بيئة ما يناسبها من الحرارة طبقا لنظام دقيق لا نعلم كنهه، كذلك القمر الذى يعطينا الضوء نظام بديع فريد وقد حدد الله سبحانه للقمر أيامًا بضوء معين ينمو على ضوئه الزرع وتتفتح الأزهار وتتوالد الأسماك فى الأنهار ، المهم أن القمر

مفيد جداً للإنسانية ، وله منافع لا تحصى ولا تعد ، كذلك النجوم لها فوائد لأنها علامات للسائرين ودليل على شدة الرياح أو نزول الأمطار ولكن أكبر مهمة أوجد الله النجوم من أجلها أنها تقتل الشياطين الذين يتمردون ويريدون أن يتسمعوا إلى كلام الملائكة فى السموات فمن أراد أن يسترق السمع ويختطف معلومة من معلومات السماء يُقذف من كل جانب بالنجوم ولهذا قال الحق سبحانه : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت : ١٢]. ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[الملك : ٥]. ويقول سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود : ٧]. والحق سبحانه وتعالى بيّن لنا أن السموات والأرض وما بينهما ، ما نراه وما لا نراه ، ما نعلم عنه وما لا نعلم هو ملك الله تعالى ، والإنسان منا مستخلف عن الله لفترة معينة ثم يأتى الموت ، بداية لمرحلة أخرى ، ويترك الإنسان ما معه من مال وملك وجاه وسلطان ، لأننا ما سمعنا أن أحدا أخذ معه سيارته يوم يموت ، أو أن أحدا طوى عمارته أو أرضه أو حتى شقته وأخذ ذلك معه يوم يموت ، فالملك لله الواحد القهار ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ

الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٥-١٠].

إن السماوات والأرض ، وقد خلقهما الله بإرادته ومشيئته بعد أن اكتملتا وأودع الله فيهما ما يشاء ، كما قال الحق سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧-٤٩]. خاطب الله السموات والأرض ، لأنهما خلقه وقال لهما ، هل تأتيانى طوعًا وتستجيبا لأوامري وتخضعا لمشيئتي فتكون إرادتكما تبعا لإرادتي ، أم، تأتياني كرهًا ؟ قالتا ربنا لك الحمد ولك الثناء إننا مطيعون لأوامرك، مستسلمون لمشيئتك ، ولن نخرج على النظام الذى أقمتنا عليه ، ولهذا قال الحق سبحانه : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[فصلت : ١١].

والسموات والأرض عرض الله عليهما الأمانة ( العقل وأمانة التكاليف وتصريف شئون كل شيء بالإرادة الحرة ) فقالت : ربنا نحن لا نقدر على ذلك ونحن رهن إشارتك لذلك قال الحق سبحانه فى هذا : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾

[الأحزاب : ٧٢ ] . وكلمة (أبيْن) ليس الرفض وإنما هو طلب الضعيف من القوى أن يعفيه من هذه المسئولية لعدم القدرة على التنفيذ ، فالسماء والأرض وما عليها وما فى باطنها كل ذلك رهن مشيئة الواحد الأحد الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون .

بعد أن خلق الله السموات والأرض على غير مثال سابق وإبداع رائع وجمال فى النسق والتنسيق ، ونظم كل شيء بدقة : أوجد سبحانه الملائكة وخلقهم بقدرته وجعل مسكنهم السماء ، والملائكة عباد لله مكرمون لا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة ، وهم عالم غيبي عن أعيننا لا يعلم حقيقتهم إلاّ الله لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم ينفذون أوامر الله بدقة ، وقد خلقوا من نور .

بعد أن خلق الحق سبحانه الملائكة من نور ، خلق الجن ، وخلقه من نار كما قال سبحانه : ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [الحجر : ٢٧] . وهم يأكلون ويشربون وينامون فيهم الذكور والإناث والصالح والطالح ، وهم فى التكليف كالآدميين تماما ، ونحن لا نراهم على أصل خلقتهم ، لقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقد جعل الله مسكنه فى الأماكن المهجورة والمقابر والأماكن النجسة ، وقد وضع الله نظاما يمنعهم عن إفساد العالم لأنهم لو تُركوا وشأنهم لسرقوا ملابسنا وأخذوا

أموالنا وفضحوا أسرارنا ، لكن الحق سبحانه وضع نظاما دقيقا يحول بين الإنس والجن ، كما وضع سبحانه نظاما يحول بين الماء الملح والماء العذب قال تعالى : ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ** ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] .

فكما أن الماء الملح لا يطغى على الماء العذب كذلك الحال فى عالم الجن والإنس لكن الوسوسة من الشيطان وتزيين الشر مع اتخاذ تلامذة من الإنس فيوحى الشيطان إليهم بمعسول الكلام ويزيّن لهم الجرائم ويدفع بهم إلى الضلال والانحراف ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾[الأنعام : ١٢٨] .

بعد ذلك خلق الله الإنسان من طين لاذب . ونفخ فيه من روحه ، وبهذه الروح كرّم الله الإنسان وفضّله على جميع المخلوقات لأن الله أودع فى الإنسان العقل فشرفه بذلك ، وعلمه الأسماء . فأصبح بذلك أهلا ليكون خليفة الله على الأرض ، ومن فضل الله على هذا الإنسان أن كل شيء فى الوجود خلق لأجله ، فهو سبحانه خلق السموات والأرض وأودع فى الأرض المخزون الاستراتيجى بكميات تفى بحاجة الناس وتزيد ، ثم أوجد على الأرض الماء وجعل من الماء كل

شيء حي ، لذلك يسخر السحاب المحمّل بالماء ويسوقه إلى الأماكن المحتاجة فينزل المطر رحمة ونعمة ، فإن زاد عن حاجة الإنسانية يكون غضبا ونقمة وتلك دروس علينا أن نتعلمها ونستفيد منها ، وإلى الأشياء الثلاثة الملائكة والجن والإنسان ، روى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وصف لكم» .

الفصل الثانى

# حفــل تكــريم

لقد أقيم حفل تكريم فى السموات العلا . احتفاءًا بآدم عليه السلام الذى خلقه الله بيده وجمّله وحَسَّنَ صورته ، وقد جاء آدم على غير مثال سابق ولما خلقه الحق سبحانه صوّره فى أحسن صورة جمع الملائكة ومعهم إبليس وهو من الجن وأخبرهم بأنه سبحانه سيخلق إنسانا ، ويجعله على الأرض خليفة ، والملائكة ومعهم إبليس قالوا : إلاهنا وسيدّنا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، هذا المخلوق قد يعصى أمرك ويتمرد على هديك ، لكن الحق سبحانه وتعالى أجابهم بأنه يعلم الماضى والحاضر والمستقبل ، أما الملائكة ومعهم إبليس فعلمهم محدود ، وخلق الله آدم ، من سلالة من طين ، لذلك جاء بنوا آدم على جنس الأرض التى خُلقوا منها ، فالأرض منها الذى يصلح للزراعة والذى لا يصلح ، ومنها السهل والحزن ، لكن الله كرّم آدم بأن نفخ فيه من روحه . وبهذه النفخة صار الإنسان مكرما عزيزا مركبًا من شيئين ، جسد ، وروح ، ولكل خصائص وسمات ، وبعد أن استوى آدم واقفا أمر الله أن يلقى بالسلام على الملائكة (السلام عليكم ورحمة الله ) فردت الملائكة قائلة ( وعليكم

السلام ورحمة الله وبركاته ) فقال الله لآدم هذه تحيتك وتحية بنيك إلى يوم القيامة ، . ثم أمر الله الملائكة أن تكرّم آدم ، لماذا؟ . لأن الله وجّه سؤالا إلى الملائكة ، قال لهم ، أنبئونى بأسماء هذه الأشياء ؟ قالت الملائكة إلهنا وسيدنا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا ، فقال الله لآدم . أنبئهم يا آدم وأخبرهم ، فبدأ آدم يخبر عن أسماء الأشياء ، يشير إلى الظلام ويقول هذا ليل وإلى الضوء ويقول هذا نهار ، كما بيّن أصناف بعض الأشجار والمأكولات فلما أنبأ آدم الملائكة بأسماء الأشياء بناءًا على أمر الله قال الله للملائكة ، ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما تكتمون ، لهذا آمركم بالسجود له . سجود تحية وتقدير .

## أول خروج على الدين

قلنا بأن الدين هو طاعة لله وانقياد له وتنفيذ أوامره ، والالتزام بكل ما وجّه إليه وما شرعه لنا سواء بالأمر المباشر أو على ألسنة الرسل ، والحفل الذى كان فى السماء لتكريم آدم كان بالأمر المباشر : ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾[الإسراء : ٦١] .

فكل من حضر هذا اللقاء من الملائكة سجد فورا لأن أمر الله يُنفَّذ بلا تردد ، والإنسان يُنفّذ أمر الله لأنه الخالق ، الرازق ، بيده الأمر وإليه يرجع الأمر ، لذلك سجد الملائكة كلهم

أجمعون إلاّ ، إبليس، استكبر ، ولم يُنفّذ أمر الله فيكون قد خرج على الدين . وقد علل إبليس عدم انقياده للأمر المباشر وانصياعه له بأنه خير من آدم ، وهذا من باب الغرور والتعالي ، لأن إبليس لو رجع إلى الحق ولم يُصبه الغرور والتكبر لعرف أن الذى يملك تفضيل الأشياء على بعضها الذى خلقها لأنه أدرى بخصائص كل شيء ، والذى خلق الكل هو الله ، فهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لأحد أن يميز نفسه أو يختار لها فالله سبحانه وتعالى هو القائل : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨]. لذلك لما انتفخ إبليس وظهر الغرور عليه وقال أنا خير من آدم ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فكان المفروض أن يُطرد إبليس من السماء ، لأنه تكبر بغرور ودخل فى قياس أشياء ليست من اختصاصه ، لذلك ، قال الله له : أنت مطرود من رحمتى؛ فاستكبر كذلك وقال ، سوف ترى هذا الإنسان ، لن تجده شاكرا ، وإنما سيتبعنى أنا ، . لأننى أمنيه بالأمانى الباطلة وأملؤه بالغرور وأخدعه ، وإن كنت فضّلته علىّ فسوف أزيّن له الجريمة وأجعل حلاوة الشر فى فمه والحسد فى قلبه والحقد فى عينيه ، لكن الحق سبحانه وتعالى رد عليه بقوله ، إن لى من الناس عباداً يستعملون عقولهم ، وسوف أبعث إليهم بالرسل مبشرين ومنذرين ومع كل رسول كتابا فيه الوصايا

والتوجيهات وأبيّن لهم الحلال والحرام . لكن إبليس يرد فى وقاحة ويتبجح ويقول : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦-١٧] . لكن الشيطان الرجيم وقد طرد من رحمة الله يقول كما قال القرآن : ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء : ١١٩] .

لقد جرى هذا الحدث فى السموات العلا وما كان لأحد من البشر علم به لكن رحمة الله سبحانه وتعالى قصّت لنا هذا القصص ، وجاءت الرواية منطبقة تماما لما حدث لأنه ليس هناك من هو أصدق من الله حديثا ، ولما قصّ علينا الحق هذه القصة أخبرنا بأن الصراع بين الإنس والجن قائم ، وهو صراع بين الخير والشر ، من أجل السعادة والشقاء ، لأن الحق سبحانه وتعالى قال لنا : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[طه : ١٢٣-١٢٧] .

## تحذيرات

من أجلك أيها الشاب نزلت آيات السماء لتوضح لك معالم الطريق وتُبين لك الحلال والحرام والخير والشر ، . ثم تُبين لك أتباع الرحمن ، من أتباع الشيطان ، وتوضح لك أعوان الخير من أعوان الشر ، والغرض من كل ذلك تحقيق السعادة لك ورفع قدرك والسمو بك والارتقاء بك . لذلك منحك الله الحرية ، فأنت حر تفعل ما تشاء . لكن حريتك منضبطة على قيم الدين وتعاليم الإسلام وخلق الأنبياء؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قال لك : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام : ٩٠]. كما منحك الإرادة ، . فليس هناك من يسيطر على إرادتك ، ومن رحمته بك وبالناس جميعا بيّن لك عداوة الشيطان وقال لك الحق سبحانه وتعالى لا تخف من كيد الشيطان فكيده ضعيف ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [ النساء : ٧٦]. ونبهك إلى أن الشيطان يوسوس لك فإن استمعت إليه واتخذته أستاذا لك فاعلم بأنه سيتهرب منك يوم القيامة ويعلن خوفه من الله ويقول عنك بأنك كنت ضعيفا . وأنت تعلم أن الشيطان لك عدو ومع ذلك اتخذته صاحبا ، والشيطان له أعوان من الإنس يضلّهم وهم يضلّونك ويدفع بهم إلى الانحراف وهم يقودونك ، والشيطان يهرب منكم جميعا يوم القيامة واسمع ما قاله الحق :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] . وكما يقول الحق سبحانه فى آية أخرى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر : ٧] . فإذا تبيّن لك أيها الشاب أن سبب الصراع بيننا وبين الشيطان ناتج عن تكريم الله للإنسان وتفضيله على كثير من خلقه ، وأن الله استخلفه فى الأرض ، وخلق كل شيء من أجله ، وسخر لهذا الإنسان كل ما فى السموات وما فى الأرض لينتفع بكل ذلك الإنسان ؛ لأن فيه العقل ولأن الأنبياء اختارهم الله من بنى آدم وأوحى إليهم بتشريعاته وهديه ، فمن أطاع فله السعادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة .

ومن عصى فهو الشقى المحروم ولهذا لا يلومن إلاّ نفسه ، لأن الحق سبحانه بيّن حتى لا يكون لأحد على الله حجة .

## أسلوب الدعوة

إن الله تبارك وتعالى رحيم بالناس ، ومن رحمته بهم أنه يبعث إليهم الأنبياء يوصى الأنبياء بأن يترفقوا بالناس . وأن تقوم

دعوتهم على الرفق واللين حتى مع أعتى العتاة كفرعون مثلا ، الذى طغى وبغى ، ونادى فى الناس بعد أن حشرهم وجمعهم أمامه وقال لهم : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾[النازعات : ٢٤] وما علمت لكم من إله غيرى ، أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، هذا الشقى المغرور أرسل الله إليه موسى رسولاً ومعه هارون نبيًا وقال الحق سبحانه لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [ طه : ٤٢-٤٤ ] .

فلك أن تتأمل فى أسلوب الدعوة إلى الله إنها لغة تخاطب العقل والوجدان وتلمس المشاعر والأحاسيس ، فليس فى الدعوة عنف ولا إرهاب ولا سيطرة على الآخرين ولا غسل مخ أحد من البشر وإنما الدعوة تتخاطب بها مع الإنسان العاقل المدرك وأن تكون الدعوة مبنية على الحكمة واللين والرفق والموعظة الحسنة مع الاعتماد على وحي الله ( القرآن الكريم ) ، (وعلى السنة النبوية ) ومع هذا فإن الحق سبحانه وتعالى بيّن لنا أن الشيطان الملعون رأس الفتنة هو عدو لنا فعلينا أن نحذر أساليبه أو أن نغتر بدعوته ، لأن دعوته تقوم على هدم الدين ، وتحليل الحرام . وتحريم الحلال . والغرض من ذلك هدم القيم الأخلاقية فى نفوس الناس وتمييع الشخصية وتذويبها فى غيرها وقتل

الروح المعنوية فى الإنسان لهذا قال الله لنا : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦]. ثم زاد الأمر وضوحا عندما قال لنا مبينا فتنة الشيطان لنا وأن بعض الناس يتخذ الشيطان وليا ويزعم أنه على هدى قال الحق فى ذلك : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧]. و من عجب أن الشيطان عندما يضل الإنسان ويدفع به إلى الانحراف يقول له هكذا كان آباؤك وأجدادك لأن الله أمر بهذا وكذب الشيطان الملعون فإن الله لا يأمر بالانحراف ولا بالغلو ولا بالتطرف ولا يرضى بذلك أبدا ، لذلك حذرنا الله بقوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨].

## أول تلميذ للشيطان

لما هبط آدم إلى الأرض ومعه حواء وكان الشيطان قد طُرد قبلهما وهبط إلى الأرض ، آدم ندم وصَحَتْ إرادته وقويت عزيمته ونادى هو وحواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [ الأعراف : ٢٣].

والحق سبحانه قبل تضرعهما وتذللهما ، وآدم عليه السلام تلقى من ربه أول بيان ينير له الطريق ويبصره بما يجب أن يفعله وما لا يفعله كما قال الحق سبحانه : ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [ البقرة : ٣٧]. ذلك لأن آدم كان قد نسي ما يهديه ربه إليه ، كما قال الحق سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ [ طه : ١١٥ ].

وآدم وعى الدرس وعرف تخطيط الشيطان الذى يدخل إلى النفس البشرية من خلال الأمانى الباطلة وتزييف الحقائق ، فآدم عليه السلام عندما كان فى الجنة ونهاه الله عن الأكل من شجرة معينة وسوس إليه الشيطان وزخرف له القول بقوله : ﴿ **مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠-٢١]. أى أن الشيطان يزيّن الباطل ويروج الزائف ويقسم أنه ناصح أمين ، والشيطان كذلك يضل الإنسان ويغويه ويقول له لو ارتكبت معصية كذا وأخذت قرضا من فلان وهربت سيكون لك الملك وستخلد فى الدنيا ، يقول الحق مبينا ذلك على لسان الشيطان : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** ﴾ [طه : ١٢٠]. وآدم عليه السلام بدأ من خلال توجيهات ربه ينظم حياته على الأرض ويضع النظم الاجتماعية التى تكون سببا فى إقامة مجتمع فاضل أساسه الأسرة السليمة

القـائمـة على الطهـارة والعـفـة والنظافـة ، لذلك بدأ آدم يزوّج أولاده لبعضهم ، . فكانت حواء تحمل وتلد فى كل بطن ذكرا وأنثى وقد وجه الله آدم إلى أن يزوّج أولاد البطن الأولى لأولاد البطن الثانيـة وأولاد البطن الثالثـة لأولاد البطن الرابعـة . لأن الإنسانية لم تتكون بعد ، . فليس إلاّ آدم وحواء ، وبزواج أولاد البطن الأولى من أولاد البطن الثانية يعادل الاغتراب فى مجتمعنا المعاصر ، . فالإنسان إذا ما أراد أن يتزوج لا يتزوج ممن حرمهم الله عليه ( المحرمات من النساء ) كذلك يفضل أن يتزوج بعيدا عن أقاربه من باب توسيع دائرة المعارف وحفاظا على النسل من الضعف ، وإبليس اللعين وجد فرصة لإفساد جو العلاقة الأسرية فى الأسرة الأولى فى المجتمع الإنسانى فكانت الفرصة سانحة له من خلال أن بنتا من بنات بطن حواء تتميز بالجمال الفائق فأراد أخوها ( قابيل) الذى ولد معها فى بطن واحدة أن يتزوج بها فقال له آدم هى أختك والذى سوف يتزوجها أخوك (هابيل)، لأن قابيل تمرد على أبيه وقال هى أختى ولدت معى وهى أجمل وأحسن من أخت هابيل ، لكن آدم قال هذا الله وتعليماته وتوجيهاته ، فقال آدم لقابيل وهابيل إن الله أمرنى أن كل واحد منكم يقدم قربانا إلى الله فمن قبل الله قربانه تزوج الجميلة، وقام كل واحد منهما يُعدُّ قربانه ، فذهب هابيل وكان صاحب ضرع (إبل متنوعة كثيرة ) وأتى بأحسن ما عنده

وأفضل ، أما قابيل فكان صاحب زرع فأتى بأسوء ما عنده وقدَّمه فتقبل الله قربان هابيل لأنه إنسان صالح مطيع حيي يحب أسرته ويسمع كلام أبيه أما قابيل فكان شرس الطبع حاد المزاج لا ينقاد للتعليمات ولا يسمع لنصح أبيه ، . لذلك وقف يقول لأخيه (لأقتلنك) فرد عليه الأخ الطيب الصالح هابيل قال له : يا أخى أما تعلم أن الله يتقبل من المتقين، عد إلى صوابك ، والتزم هدى ربك وتمسك بالحلال يملأ الله نفسك سعادة ويضفى عليك الأمن والأمان ، وأنت تهددنى بالقتل فأنت إن بسطت يدك إليّ بالأذى أعاملك بالإحسان لأن الله أمر بذلك عندما قال : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلت : ٣٤-٣٥] . لكن الشيطان كان قد استولى على قابيل وزيّن له الجريمة ودفعه إليها فقتل قابيل هابيل وكان أول دم أريق على الأرض بسبب الغيرة والحقد والحسد ، لأن هابيل أول قتيل على ظهر الأرض لم يعرف قابيل ماذا يصنع فى الجثة وكان الشيطان يعلمه لأنه أول تلميذ غبى لذلك وضع الجثة فى جوال وحمله على ظهره حتى إذا فاحت الرائحة - وإكرام الميت دفنه وأراد الله لهابيل خيرا حيث يتم دفنه - بعث بأستاذ آخر لقابيل الغبى وإذا كان الأستاذ الأول هو الشيطان فإن الأستاذ الثاني هو الغراب ، لذلك بعث الله بغرابين اقتتلا أمام قابيل

فقضى أحدهما على الآخر فوقف الغراب القاتل يحفر فى الأرض برجليه ومنقاره حتى عمّق مكانا ثم وضع الغراب المقتول فيها ثم هال التراب فقال التلميذ الغبى : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١]

فإذا كانت المعصية الأولى وقعت فى السماء بسبب الكبر والغرور من الشيطان فإن الجريمة الثانية وقعت على الأرض بسبب الحقد والحسد ، والقاسم المشترك بين الجريمتين عدم اتباع الحق والانصياع له ، وعدم سماع كلام الله وتنفيذه ، لذلك نؤكد على أن المؤمن من حدده الحق سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥١-٥٢] .

## معظم النار من مستصغر الشرر

لأن الشيطان دائما يبدأ فى إضلال الناس من الأمور الصغيرة ، فمثلا يقول لك ، الدخان لا يضر ، دى سيجارة ، ممكن تشربها أنت وأربعة من أصحابك ، ويعلمنا كلمة ( خمِّس) ويقول لك السيجارة ، مظهر الرجولة وأنت لابد أن تكون رجلا حتى تُحبك الفتيات ، وتتعلق أعيُنهن بك ، ومن المعلوم أن

الدخـان هو البـوابة الملكيـة للدخـول إلى عـالم المخـدرات ، والدخان أصلا مضر بالصحة مضيّع للمال ، لكن الشيطان يقوى ويزيّن ، ومن المؤكـد والمعلوم أن الله أمـرنا أن نحـافظ على صحتنا ؛ لأن الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرف قدرها إلاّ المرضى ، فالمريض هو الذى يعرف قدر الصحة وقيمتها ، وأنت عندما تقرأ القرآن الكريم تجده وضع لك الضوابط لحماية صحتك والحفاظ على جسمك ، فنهاك عن المخدرات والخمور وأمرك أن تبتعد عن الشذوذ الجنسى وحرّم عليك هذا كما حرّم عليك الاتصال الجنسى بأى امرأة أجنبية لا تحل لك ، كذلك العلاقة الجنسية بالزوجة أثناء الحيض والنفاس وكما حرّم عليك هذا حرّم عليك أكل الميتة والمنخنقة وهى التى تخنق حتى تموت ، والموقوذة وهى التي تضرب بشيء ثقيل حتى تموت ، والمتردية وهى التى تقع من شاهق عال فتموت والنطيحة التى ماتت بسبب نطح غيرها لها وما أكل السَّبع أى البهيمة التى يأكل السبع أو الكلب أو الذئب ويبقى من لحمها شىء فحرام أكله .

إن الإسـلام وهو يضع لك هذه القـواعـد ويحـدد لك هذه المفاهيم الغرض من ذلك الحفاظ على صحتك ونضارة وجهك ، وإذا كان قد حرّم عليك الخمر والمخدرات فحفاظا على عقلك الذى هو أشرف شيء فيك ، لكن الشيطان الرجيم يزيّن لك المعاصى بالشيء القليل ، يقول لك ، دى سيجارة ليس فيها

شيء، لكنها تتعب نفسك وجسمك وتضيع مالك ، يقول لك هذه كوب من الكينا الحديدية تقوى جسمك وتنشط بدنك وليس فيها إلاّ ٢٪من الكحول ، أو هذه بيرة ليس فيها إلا ١٪ من الكحول ، المؤمن يرفض كل ذلك حتى ولو كان أقل من١ ٪ لأن الخمر إذا وضع منه نقطة فى زير من الماء نجّسه ذلك ولا يجوز الشرب منه أبدا ثم إن الشيطان يريد أن يزج بك إلى صالة القمار وهو حرام، فيقول لك تلميذ الشيطان من الإنس تعال نلعب كوتشينة أو طاولة على المشروب ، المغلوب يدفع فهذا كذلك بوابة إلى الدخول فى عالم القمار إلى غير ذلك مما نعبر عنه بقولنا : « معظم النار من مستصغر الشرر» ، إن شبابنا أمل الأمة لغدها المشرق وأيامها المقبلة جدير به أن يحافظ على صحته وأن يلتزم أفضل الطرق ما حدده ربنا فى قوله : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف : ٣١]. وما قاله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٧].

وكما حذر الإسلام من الإسراف والتبذير حرّم كذلك البخل والشح فقال سبحانه : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨]

الإسلام إذًا دعاك إلى الاعتدال فى كل شيء حتى فى الأكل والشرب حتى فى العبادات التى فرضها عليك ، قال لك : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾[النساء : ١٧١] ولا تفرط فى أمر الدين وتتكاسل عن أداء العبادات وإنما كن معتدلا فالإسلام يدعو إلى الوسطية وهى الاعتدال فى كل شيء حتى فى النوم ، فالشباب إذًا هم أحرص الناس على هذا الأمر وعليهم أن يكونو ا أمناء عليه ويدركوا مداخل الشيطان الذى يهمس إليهم أحيانا ويقول لهم : « ما تبقاش موضة قديمة ، يا عم إحنا فى زمن الإنترنت و السماء المفتوحة فما لنا وهذه القيم القديمة التى عفا عليها الزمن»، ونرد على هؤلاء ونقول لهم :

« إن الإسلام الذى حمل لواءه سيدنا محمد ﷺ هو دين تعاليمه جديدة فى النفوس لأنها تتمشى مع كل عصر وتناقش الأمور بدقة وتلتزم بإقامة الحجة ،

والإسلام يتعامل معنا على أننا بشر فينا غرائز مركب فينا شهوات ، لكنه يقودنا برفق ولين ويتعايش معنا بتعاليمه على أرض الواقع ، لا يحلق بنا فى خيال ، ولا يجعلنا نعيش فى أوهام وإنما الحق والحقيقة والوضوح التام فى كل مشكلة مع إيجاد الحلول والبدائل لأنه الدين العالمي الذى يتعامل مع تطورات الزمن وما أفرزته المحافل العلمية وما تطرحه علينا السماء المفتوحة كل ذلك مناقش فى القرآن إن لم يكن بالنص

فيما استنبطه العلماء المجتهدون الراسخون فى العلم الذين هم أهل الحل والعقد وأهل الفهم الذين يجتهدون على حسب مفهومهم من أقوال رسوله وأقوال السلف الصالح ثم يجتهدون فيقدرون المصلحة العامة ويقيسون الأمور بعضها على بعض ويعرفون المصالح المرسلة لأنهم يقومون بأمر الله وبتوفيقه لخدمة الدنيا لينصلح أمر الناس فيها لأنها المزرعة للآخرة .

## تنوع الأساليب

الشيطان أستاذ مدرسة الضلال ، ومعلم الانحرافات ، وقد قطع على نفسه العهد أمام الله تعالى وفى الملأ الأعلى وأمام الملائكة ، أنه بكل ما أوتى من قوة سيتخذ الأعوان ليضل الإنسان، لأنه كما يقول ربنا : ﴿ **وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [ النساء : ٦٠ ]. بل هو قال : ﴿ **لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ١١٨-١١٩]. لهذا كان رد الله عليه بأن من يتخذ الشيطان أستاذا أو صديقا فهو الخاسر ، والخسارة كبيرة لأن الشيطان يعد بالأماني . ولا يملك التحقيق . يُبيّن للإنسان أن حياته ستكون سعيدة ، ولكنها تكون شقاءً فى شقاء ، ومن هنا كان تكملة الآية الأولى : ﴿ **وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا**

يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء : ١١٩-١٢١] .

لذلك اتخذ الشيطان أساليب متنوعة لإضلال الناس ففى كل يوم يبتكر أساليب جديدة تتفق مع المستحدثات التى يخترعها الإنسان ليساير بها النمو الطبيعى الذى بدأ يظهر فى المجتمعات ، ذلك لأن المجتمعات بدأت تتكون على ظهر الأرض والناس تتكاثر . ولابد لكل إنسان أن يلبى حاجات نفسه ، والحاجة أم الاختراع والعقول تفكر ، وكان الشيطان يراقب كل ذلك وهو الآخر يبتكر فى أسلوب الإضلال ويتفنن فى أسلوب الغواية وبما يتلاءم مع هذا التطور البشرى ، والإنسان لا يقدر على رؤية الشيطان ، وهو عنده القدرة على التشكل ، واختراق الحجز والدخول إلى أى مكان ، لكن هناك نظام كما قلنا لا يستطيع أن يفسد الحياة ، ولا يفعل ما فيهّ ضرر الإنسان ، لكنه كما يقال ، يقدم الرأى إلى الغير ، ويزعم ، أنه ناصح أمين فى نفس الوقت له تلاميذ من الإنس يغدق عليهم ويحل لهم الحرام ويرسم لهم أسلوب دعاية الغير . ولهذا صور الحق سبحانه وتعالى الجن وهم يقولون إنهم استمتعوا بالإنس ، استمتاع غواية وإضلال ، وفساد وإفساد . يقول الحق فى هذا : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ

**خَالدينَ فِيهَا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ (١٢٨) وَكَذَلكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالمينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [ الأنعام : ١٢٨-١٢٩ ] .

وطبيعة الجن أنه عندما يصاحب الإنسان فإنه يتعبه ، ويمزق نفسه ، ويجعله ألعوبة فى يديه ، يتخذه ملهاة ويقوده إلى حتفه ، بعد أن يذيقه مرارة الكأس الذى يسقيه له ، ولهذا قال الحق سبحانه على لسان الجن : ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [ الجن : ٦ ] . ولقد وجد الشيطان تلميذه الأول فى ابن آدم ( قابيل ) ووجد السلاح الذى يغزو به قلوب الضعفاء فى ( المرأة ) ومن هنا أصبحت المرأة متهمة فى نظر المجتمع لأنه بسببها أريق أول دم على ظهر الأرض ، إذن ، فلتكن هى أحبولة الشيطان ، ولذلك ترى أن أعداء الإصلاح فى كل زمان وعلى مدى التاريخ يجعلون المرأة سبب كل شر ، ومصدر كل فساد وتخريب ، لذلك إذا نفذ صبرهم فى هدم كيان المجتمع الفاضل ، دخلوا إليه من خلال المرأة ، فزينوا لها الباطل ، ومدحوها ، وأثنوا على جمالها ، والغانيات يعجبهن الثناء ، ثم بدأوا يجعلونها هى السلاح البتار ، والسيف القاطع ، لهدم الفضيلة .

## أفكار إنسانية

كان الشيطان دائما يتخذ أساليب متنوعة ، فالمرأة كانت

سلاحه الأول ثم بدأ يقود الناس إلى عبادة عناصر الطبيعة ، وأعظم عناصر الطبيعة ( النار ) وقد عكف على عبادتها خلق كثير ، وبنوا لها المعابد وانتشرت هذه العبادة فى طول البلاد وعرضها ، ثم بعد ذلك عبد الناس الشمس وقدسوا الشجر والحجر ، وهكذا بدأ الشيطان يدفع بالإنسان إلى عبادة ما لا ينفع ولا يضر ونشأت هناك عقائد مثل عقيدة :

## الهندوس

وهى ديانة فى زعمهم ظهرت فى الهند ومؤسسها ( براهما ) الذى اعتبروه الخالق الأعظم ، وكما يقولون بأن هذه أول طائفة ظهرت فى التاريخ ونسج الخيال حولها الكثير من القصص التى لا يقبلها العقل ولا يستسيغها الوجدان ، وخلاصة هذه العقيدة أن ( براهما ) هو الإله وأن البشر جميعا خلقوا من جسم مانوا الذى عَرّف نفسه بقوله : « أنا من القمر فضته ومن الشمس ذهبها أنا من الماء طعمه العذب أنا من النار وهجها الأحمر وأنا من الهواء باعث الحياة أنا القدسية فما هو مقدس من الأرواح أنا حكمة الحكيم وعظمة العظيم فإن من يرى الأشياء رؤية الحكيم يرى أن ( براهما ) المقدس بالبقرة والفيل والكلب النجس ) وهذه العقيدة تؤكد على أن الناس طبقات أربع :

١ -رجال الدين ، وهم خلقوا من رأس الإله .

٢- طبقة الملوك والجند ، وقد خلقوا من ذراع الإله .
٣- أرباب المهن والحرف والضياع، وقد خلقوا من فخذى الإله .
٤-طبقة الخدم والرقيق ، وقد خلقوا من قدمى الإله .

## تناسخ الأرواح

وهذه الطائفة أول من قالت بتناسخ الأرواح « أى أن الروح تنتقل بعد موت صاحبها إلى شخص و لأنها كذلك فهى لا تفنى» وهذه فكرة خاطئة حاربتها الشرائع السماوية وأعلن دين الله بطلانها لأن روح الصالح فى زعمهم قد تتلبس بجسد فاسد وأن روح مجرم قد تتلبس فى جسد صالح ، فهذه فكرة منحرفة لا يعترف دين الله بها .

كما أن هذه العقيدة لها كتاب مقدس عبارة عن أشعار واعتبروا أن من يتجرأ على الإتيان بمثل ما فى كتابهم ( الفيدا ) المقدس فقد ارتكب إثما عظيما .

إن هذه العقيدة التى ارتكزت على ما قدمناه من التفرقة بين الناس وجعلهم طبقات وأن البراهما هو الإله وقالوا بتناسخ الأرواح وجمعوا شعر كل قائل منهم وجعلوه فى كتاب سمّوه (الفيدا ) كل ذلك إفك وضلال وتخطيط إجرامي ومع ذلك عشق الناس هذا الدين الجديد وجمعوا حولهم الأنصار وبدأوا

فى نشر عقيدتهم وقد تمسكوا بها تمسكا شديدا وروجوا لها أينما ذهب معتنقوها .

## البــوذيـة

من المعلوم أن أى دين سماوى لا يقر هذه التفرقة بين الناس كما أنه لا يقر بتناسخ الأرواح ، لكن أتباع ( براهما ) سرعان ما حرفوا فى عقيدتهم وأدخلوا عليها ما لا يتفق مع العقل أو النقل من كتاب ( الفيدا) فقام بوذا يدعو إلى تصحيح الفكر الذى نادى به (براهما) ولم يقل عن نفسه بأنه إله وقد رفض حياة القصور وعيشة الملوك ، وكان بوذا يمثل الحكمة ويعيش حياة الفقراء وكان يطالب أتباعه أن يزيلوا الشر بالخير وأن يبتعدوا عن الغضب ويتمسكوا بالشفقة ، وكانت له وصايا قيمة إلاّ أنه بعد موته نسى أتباعه هذه الوصايا راحوا يؤلهون بوذا وأقاموا له التماثيل وبنوا له بيوت عبادة وأصبح لها كهنة ثم انقسموا على أنفسهم ، وأصبح لكل طائفة شعائر وما زالت هذه الطائفة موجودة حتى الآن .

## الزرادشتــية

من الطوائف التى ظهرت فى الهند ، وقد أسس هذه الطائفة وحدد عقيدتها زرادشت وتقول عنه الأساطير بأنه وهو فى بطن أمه كان يقهقه بصوت عال وأن أركان البيت تهتز ، وقد ولد (زرادشت ) عام ٦٦٦ ق . م وأضفى عليه أتباعه القصص الكثيرة

فى بداية حياته ، وهى قصص لا يقبلها العقل لأنها أساطير تعتمد على الخيال ، وبعد أن تقدم سنه وتعلم الحكمة وأمسك سرها بدأ يعلن أن ( اليوم ينقسم إلى ليل ونهار ونور وظلام ، إذًا العالم فيه خير وشر ) وقد وضع رمزا للإله الخير هو ( أهورا مزدا) وأن إله الشر هو ( أهرمان) ، وهذا الشخص بدأ يعلن عن نفسه بأنه داعٍ إلى الخير وبدأ يوصى أتباعه بطهارة الفكر والكلمة والعمل والنظافة والرفق بالحيوانات والعمل وإتقانه ومساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل العلم وقد اتخذ لنفسه كتابا مقدسا هو (الأوفستا ) ، وبعد موت هذا الرجل استمر أتباعه فى نشر تعاليمهم فى بلاد فارس ثم ألّهوه وبدؤوا يعبدون النار باعتبارها رمز العطاء ، وما زال له أتباع فى بلاد الهند حتى الآن يتمسكون بعقيدتهم ويقدسون النار والتراب والأرض والماء ، ومن عقيدتهم إذا مات الإنسان عندهم لا يحرقون جثته كما يفعل الهندوكيون ولا يلمس الناس جسد هذا الميت لأنه بعد خروج الروح أصبح نجسًا والنار عندهم مقدسة فلا تلوث والأرض مقدسة لأنها مصدر أرزاق الناس فلا يدفنون الجثة فيها لأنها نجسة ، لذلك من عقيدة هذه الطائفة أنهم يقومون ببناء أبراج ذات قمم عالية فتسمّى ( أبراج الصمت ) وهناك طائفة معينة وظيفتها حمل جثث الموتى نهارا على نعوش من حديد ورميها على تلك الأبراج لتأكلها الطيور ولا يجوز لأى شخص غير هذه الفئة ، أن

يحمل جثث الموتى أو يلمس الميت وإلاَّ عُدَّ فى نظرهم ملوثًا ، .
ولعل من الأعجب أنهم يقولون فى هذه الأيام أن أحد أتباعه توصل إلى صنع سيارة وقد سمّاها ( مزدا) وهذا الاسم يرمز إلى إله الخير عندهم ودفع بها إلى العالم نشرا لعقيدته ، وإن صح هذا الكلام فإننا نقول للشباب المسلم احذر مثل هذه الشائعات لأن الشيطان دائما له حيل وألاعيب ويريد أن يشغلك بالهواجس وأن يضيع وقتك فى ما لا يفيد ، ولعل هذا يوضح لنا سر الحملة التى قام بها فريق من الناس الآن حيث يقولون ، مكتوب على (زجاجة الكوكاكولا) لا كعبة لا محمد ، وجاء الكثير من الشباب يحملون الزجاجات وأين ، لا نجد أى شيء ، وإنما ذلك أسلوب لتهييج عواطف الشباب وصرف وقتهم فى الجدال الذى لا طائل من ورائه ولا يؤدى إلى خير ، مثل هذا مثل ما يحدث فى كل عام قبل الامتحان بثلاثة أسابيع يحمل البريد أوراقا إلى الكثير من الطلاب فيقرأ الشباب الورقة وفيها بأن الشيخ أحمد خادم المقصورة النبوية جاءه النبى فى المنام وطلب منه أن يكتب كلاما يملأ صفحة فلوسكاب وأن من يكتب بيده هذه الصفحة ثلاثمائة مرة ويبعثها إلى ثلاثمائة شخص سوف ينجح بتفوق ويشفى من كل مرض ويحتل المناصب العالية ، ومن رمى بها وأهملها يصاب بالكسل والخمول والفشل والمرض والضياع والخسارة إلى آخر ما هنالك من كلام فاضٍ لا أصل له ولا

فصل ، والغرض من ذلك صرف الطلاب عن المذاكرة وشغلهم بتوافه الأمور أو شغل الناس عن أعمالهم وصرفهم عن الجد ، وأقول لهم : كل هذا كلام لا يصح من جاء إليه خطاب فليمزقه وخذوا لأنفسكم عبرة ممن يروج لكلمة (مزدا) ، إنه بالأسلوب العملى النافع المفيد أما شغل الأوقات فى التافه فهذا أمر لا يليق «ألا» فلنتنبه ولنأخذ حذرنا والعاقل من اتعظ بغيره .

## الكونفوشيوسية

على أرض الصين قام رجل يسمى « بابنكو» وأخذ يتصور شكل العالم ؛ فتصوره على أنه رأسه تنين وأن جسده جسد أفعى ، وأن هذا الرأس والجسد ظلا يعملان في خلق العالم ثمانية عشر ألف عام ، ثم مات مجهدًا لكن أنفاسه تجمعت فصارت ريحًا وسحبًا ، وأناتُه الأخيرة الرعد ، والدم الذى كان فى عروقه الأنهار ، وعرقه الأمطار ، وعظامه الصخور ، وأسنانه المعادن ، وشعره الغابات والأشجار ، ولحمه الأرض ، ورأسه الجبال ، وعينه اليسرى الشمس وعينه اليمنى القمر ، أما الحشرات التى كانت على جسده فأصبحت الآدميين . وهكذا تمضى الأسطورة فتتحدث عن أن أهل الصين كانوا يعبدون الطبيعة ، فيعبدون السماء ويقدسون ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصبة ثم يعبدون الريح والرعد لأن فيهما قوة خفية ،

وهم يقدسون الأشجار والجبال والأفاعى ، وكانت لهم أعياد فى موسم الربيع يخرج الناس جميعا يرقص الرجال مع النساء ويتضاجعون فى الحقول وفى الخلاء ليضربوا المثل لأمهم الأرض فى الإخصاب والإنتاج ، وقد وسم الناس (كونفوشيوس ) بأنه فيلسوف حكيم لأنه كان بدأ يترهبن ويتأمل فى الكون والحياة والموت كما اهتم بدراسة تاريخ شعبه وقد اجتمع حوله ناس كثير يستمعون منه وينشرون عنه ، وكانت له فلسفة عن الحياة والموت وقد أسس ( الكونفوشيوسية ) على أنها نظام إنسانى يوجه إلى التعامل مع الغير بالحسنى ، وله وصايا تدعو إلى الخير والفضيلة وقد مات فى عام ٤٧٨ ق . م وقد عم الحزن جميع أهل الصين حتى الحكام الذين أهملوه حيًا احتفلوا بذكراه ميتًا وأعلنوا الحداد لمدة ثلاثة أعوام . وبنى بعضهم أكواخا على مقربة من قبره ، وانتشرت تعاليمه فى الصين واليابان ، كما انتشرت تعاليم من سبقوه، وعمت هذه النظريات بلاد الهند وتسربت إلى إفريقيا وراجت فى العالم أجمع .

## الأصنام

مع أن هذه التعاليم كانت منتشرة وأن وحى الله كان ينزل فى مناطق معينة من الأرض ، إلاّ أن الشيطان كان يجرى بسرعة ويخطط وبدقة، ففى بلاد الشام وما حولها بدأ يوعز إلى أتباعه

أن ينصبوا تماثيل للصالحين والشخصيات المرموقة ، وكان الإيهام أولا بأن هذا من باب ( تخليد شخصيات الصالحين ) وبمرور الأيام بدأ الاحترام الزائد الذى يؤدى إلى الانحناء أمام التماثيل ثم الركوع ثم السجود ، وبدأ الفن فى هذا المضمار يفعل أفاعيله ، وتطورت الأمور حتى كثرت الأصنام وتعددت وبدأت تنتقل من بلد إلى بلد وأصبح لها رهبان وكهان يحيطون بها ويعلنون ولاءهم لها وينشرون بين الناس أن الإله لو غضب على شخص خرب بيته واسودت حياته ولا مجال له فى الدنيا ولا فى الآخرة ، لهذا وكما هو الحال فى كهان عبدة النار أو كهان عبدة الطبيعة أصبح هناك ثراء فاحش بين هذه الطبقة لأنهم يأخذون حتى حُلى النساء وأصبحت شيوعية النساء عندهم أمر مستحكم ، لهذا سادت الفوضى وعمّ الانحلال واستمر الحال على ذلك إلى أن منّ الله على الإنسانية وبعث إليها نبيًا خاتما لمن سبقه من الأنبياء وهو سيدنا محمد ﷺ .

## وحى الله

ما كان الله سبحانه وتعالى ليذر الإنسانية يلعب بها الشيطان وأعوانه فهو سبحانه وتعالى خلق الخلق لغاية عظيمة ، والإنسان بعقله لا يستطيع أن يتعرف على الله سبحانه ولا على أسمائه وصفاته ، وما يجب له وما يستحيل عليه . وما يجوز ، كما أن

الإنسان لا يستطيع بعقله أن يتعرف على بداية الخلق كيف كانت؟ وبعد الموت كيف تكون ، والحشر بما فيه من أحوال وأهوال ، والحساب والميزان ، والصراط وما يجرى عليه ثم الجنة والنار .

إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التى لا يستطيع العقل البشرى أن يصل إلى كنهها ثم معرفة الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الأمم السابقة ، وكيف عالجوا الأمراض الخُلقية والأوبئة الاجتماعية ، وكيف كان أسلوبهم فى تعاملهم مع أقوامهم لأننا نؤمن ، أن الله سبحانه وتعالى بعث فى كل أمة نذير ا، ومهمة هذا النبى ،أن يصحح للناس عقيدتهم، وأن يرشدهم إلى أفضل الأساليب فى التعامل مع بعضهم، وأسس العلاقات الاجتماعية ، وكان كل نبي يتلقى من ربه الوحى . ومن خلال آيات وحى السماء تتعرف الإنسانية على أصلها وفصلها ، وحبيبها وعدوها ، وأصل نشأتها ونهاية بدايتها حتى لا يكون لأحد على الله حجة ، والأنبياء الذين بعثهم الله على مدار التاريخ كثير جدا لا يعلم عددهم إلاّ الله لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر : ٢٤]. لكن الحق سبحانه ذكر لنا فى القرآن أربعا وعشرين نبيًا وبسيدنا محمد ﷺ يكتمل العدد إلى(خمس وعشرين نبيًا ) لكن الحق سبحانه يقول لنبيه عن الأنبياء السابقين : ﴿**مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[غافر : ٧٨]. وقوله

سبحانه : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ من قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء : ١٦٤] . فإذا كان إبليس اللعين قد وجد مرتعا خصبا لدى الكثير من الناس الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يسحنون صنعا فإن الحق سبحانه وتعالى من رحمته أنه كان يبعث الأنبياء فى الأماكن التى انتشر فيها الفساد وكان كل نبى مع دعوته إلى توحيد الله وتنزيهه يعالج الخلل الاجتماعى والمرض النفسى الذى انتشر فى البيئة وكان النبى يعرف من قومه بأن الله سبحانه يختاره من أشرف البيوت . ومن أكرم الأسر ، ومن أطهر الرجال وأفضل النساء وكان النبى ﷺ الذى يختاره يشتهر بين الناس « بالصدق»، « والأمانة» ، «والعفة » ، «والطهارة » ، « والفطانة » ، « وبعد النظر والكياسة إلى غير ذلك من الأمور التى تدل على علو الهمة والكفاءة . وكان الله يؤيد كل نبي بمعجزة تتناسب مع المناخ الاجتماعي وتكون المعجزة من شيء يتعامل به الناس ، وتأتى المعجزة على يد النبى فتكون أمرا خارقا للعادة . وكأن الله سبحانه وتعالى يقول : صدق عبدى فيما يُبلّغ عنى، وكان كل نبى ينزل معه كتاب أسلوبه عظيم ، وكلماته هادية . وعباراته منسقة « ليس فيه خلل ولا عوج وكل ما فيه سهل وميسر ويدعو إلى مكارم الأخلاق ويحث على الفضائل وينهى عن الرذائل ، وكان كل نبى له أعداء حتى من أقاربه الذين يعرفون أصله وفصله . لكنها مدرسة الشيطان ، ويقول عن ذلك ربنا : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].
ويقول سبحانه أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج: ٥٢-٥٣]. وعلى هذا الأساس شهد المجتمع الإنساني صراعا بين الخير والشر وأعوانه وبين الشر وأتباعه ودائما وأبدا كان النصر فى النهاية لأتباع الخير، لماذا ؟ لأن الله هو القوى القهار وقد قال سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]. أما الشيطان فهو ملعون مطرود خائب خاسر مرجوم مدحور وكيده ضعيف ولذلك تجد أتباعه وأعوانه ضعفاء يخافون من خيالهم، يحسبون كل صيحة عليهم يهربون عند ذكر الله ولا يستطيعون مواجهة المؤمن القوى الذى يأكل من حلال ويتعامل مع الناس بالتسامح والأدب والاحترام، أما أعوان الشيطان فهم كما يقول القرآن: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩]. ويتبين لنا بالدليل أمام أعيننا فلقد طوى التاريخ ذكر الذين طغوا وبغوا فى البلاد وأفسدوا العباد والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]. ويقول أيضا:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. ويقول : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]. وأنت أيها الشاب تقرأ التاريخ وتتعرف على الأجيال التى مضت كيف طويت صفحتها وإن كانت آثارها باقية لتكون أمام أعيننا شاهدة على قدرة الله الواحد الذى له الملك وإليه يعود الأمر وهو القوى الكبير المتعال.

ولك أن تتأمل فى موقف فرعون الذى صاح بأعلى صوته عندما أدركه الغرق : ﴿ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾[يونس: ٩٠]. فكان الرد عليه بعد فوات الأوان تعترف وبعد انقضاء العمر تندم، لن تنفعك توبتك . ولن ينجيك صياحك ولن تفلت من العذاب الذى ينتظرك والسبب كما يقول ربنا : ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩١-٩٢]. هل أنت الذى عمرّت وبنيت وزرعت، إذا كانت الإجابة، . لا، فهل ستأخذ معك فى آخرتك ما تبنيه وما تعمرّه، ستكون الإجابة، لا، إذن الملك لله الواحد القهار، الذى خلقك فسوّاك وجمّلك وصوّرك فى أحسن صورة وأمرك أن تعبده وحده، ولا تركن إلى الذين ظلموا، ولا تتخذ الشيطان وليا وإذا كان الله أمرك بعبادته فالعمل عبادة، وتحصيل العلم عبادة، والبعد عن الشر عبادة،

وكل ما من شأنه أن يرفع قدرك ويسمو بمكانتك عبادة ومن العبادة ( أن تحب للناس ما تحب لنفسك ) ولا تكن أنانيا وتقول : ( أنا مالى ، إن جالك الطوفان حط ابنك تحت رجليك ) لا . يا أخى لأن هذه فكرة شيطانية ، ولكن اجعل شعارك ( إن جالك الطوفان اجعل ظهرك قنطرة ليعبر الناس عليه ) .

## تمام الأمر

إن من أجل نعم الله على الإنسانية ، إرسال الرسل وإنزال الكتب ، ولقد أراد الله بالإنسانية خيرا بعد أن اكتمل نضجها العقلى ، ودخلت مرحلة التقدم الحضارى ، فكان لابد من إرسال رسول ، يختم الله به الرسالات السابقة ، ويكون هو الخاتم للأنبياء فلا شيء بعده ولا رسول ، وليس هناك وحى ينزل من السماء بعد القرآن . . وكان هذا النبي العظيم هو سيدنا محمد ﷺ وقد حمل القرآن إلينا وقال لنا : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩ ] ودلت الأحداث كلها على أن هذا النبي العظيم دعوته عالمية وأن معجزته تخاطب العقل وتنيره وتهدى للتى هى أقوم ، وهذا القرآن الكريم أحدث ما يشبه الزلزال فى مجتمع الإنسانية ، لأن القرآن الكريم يتلاءم مع كل فرد ويخاطب الأحاسيس والمشاعر فى أى بيئة ، فالقرآن الكريم يقف من الزمن موقف الأستاذية فلا تحصره جزئية علمية ولا تحدّه نظرة خاصة فهو قد وضع الأصول العامة لسير الحياة

البشرية وترك التفصيلات للزمن المتجدد والفكر المتأمل ، ومن عجب أن الذى تلقى القرآن وهو النبي العظيم ، رجل أمى لا علم له بأي لون من ألوان الثقافة التى كانت تموج فى العالم قبل بعثته وما صاحبها ، ومع أنه إنسان عظيم إلاّ أنه لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ولم يكن راوية للشعر ولم يجالس الكهان ولا العرافين ، ووسائل الإعلام ، لم تكن قد عرفت ، لهذا جاءت عظمة محمد ﷺ من أنه وهو الأمى حمل إلينا هذا القرآن وأدّاه بدقة وأمانة ، ومن هنا يتبيّن أن السماء أفضت بكلمتها الأخيرة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [ المائدة : ٣ ] . وعلى الإنسانية أن تتعرف يوما فيه خيرها فمن فضل الله على الإنسانية أن كلمة السماء الأخيرة محفوظة بدقة وعناية فالقرآن الكريم لم ينقص منه أى حرف وليس فيه زيادة أبدا ، كذلك السنة الطاهرة المطهرة جمعها لنا علماء أفذاذ وشخصيات تتميز بالعبقرية وقاموا بعمل مصطلح للحديث أطلقوا عليه علم ( الرواية ، والدراية ) وهؤلاء الرجال مشهود لهم بالكفاءة العلمية والنزاهة الفكرية ومعرفة أقدار الرجال الذين أخذوا منهم وتلقوا عنهم ، وعرفوا الحديث من صحة اللغة العربية ، لأن النبى ﷺ كان نطقه سليما وقوله سديدا وعمله دقيقا ليس بصخّاب ولا عياب ولا بذئ ولا سفيه ، لذلك تميز قوله بالحكمة وحسن التعبير .

## أدعـيــاء

إن الله سبحانه وتعالى قد مَنَّ على الإنسانية بهذا النبىَ العظيم الذى حمَّله الوحى وأمره بالتبليغ وأخبره بأنه يعصمه من الناس ، هذا النبي الذى عرفه الناس قبل البعثة بأنه الصادق الأمين ، الطاهر العفيف الذى يشارك فى كل أمر فيه خير للناس ونفع لهم . من عجب أن يكون من أعدائه أعمامه وبعض أصدقائه وأبناء عمومته ، ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن بعض العرب طلبوا منه أن يجعل الأمر لهم من بعده . لما رفض هذا الأمر وقال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء» بدأ هؤلاء الناس يبحثون عن أنبياء مزيفين ، شخصيات ضعيفة تحاول أن تجبر ضعفها بشيء يتحدث الناس عنه أو شخصيات مصابة بعقد نفسية يحاولون الظهور حتى لا يشعر الناس بنقصهم أو العيوب التى فيهم ، لذلك ظهر هناك أدعياء للنبوة ، من هؤلاء مثلا مسيلمة اليمانى الكذاب الذى ظهر فى اليمامة وزعم أنه نبى وكان يردد كلمات مبهمة لا معنى لها يزعم أنها وحى ، وكذلك ظهرت سجاح بنت الحارس بن سويد وقد ظهرت فى العراق ، وشجعها الفرس على قيامها بالدعوة وهى الأنثى الوحيدة التى ادعت النبوة ، وقد التقت بمسيلمة واختلى بها وكان بينهما لقاء جنسى لأنها لما خرجت إلى قومها وأخبرتهم أنها ومسيلمة تزوجا

وتمت المعاشرة ، . فقالوا لها وأين مهرك ، فرجعت إلى مسيلمة وقالت إن قومى يطلبون صداقى فأمر مسيلمة رجلاً يصيح فى الناس ويقول إن صداق ( سجاح ) هو ( أنني وضعت عنكم صلاة العشاء وصلاة الفجر فلا تصلوهما ) ، كذلك ظهر الأسود العنسى ، وكان من بلدة يُقال لها ( كهف حنان) من أعمال اليمن، ثم ظهر كذلك طليحة بن خويلد الأسدى وهو من بنى عبس ، المهم أنه فى عصر النبوة رغم العداء والحرب كان هناك من يزعم أنه نبى ، والناس دائما تعرف الخير ومن وفقه الله يتبعه وتعرف الشر وتميل إليه لأنه يحقق للنفس رغبتها ويعطى للجسد متعته لذلك يميل إليه أهل الفساد والضلال .

وما من فترة إلاّ ويظهر كذاب أفاك يزعم أنه مصلح عظيم ، بل إن بعضهم يزعم أنه نبى جاء على شريعة محمد لأن محمدا رسول ، من هؤلاء :

## القاديانية

وقد نادى بهذه النحلة غلام أحمد القاديانى ،وكان يعيش فى بلاد الهند وولد سنة ١٨٣٦م ، وتعلم بعض القرآن وأصول اللغة العربية ، وكان فقيرا معدما قمىء المنظر ، وكان يقوم بعمل كتابة العرائض أمام المحاكم ،و الإنجليز كانوا يستعمرون هذه المنطقة ، لذلك رأوا فيه الشخصية التى يتخذونها وسيلة لتفريق كلمة

المسلمين الذين كانوا يتجمعون وينادون بتحديد ولاية لهم التى أصبحت الباكستان فيما بعد، وكان الإنجليز يرغبون فى شخص مسلم ليكون عميلا لهم فى وسط المسلمين وقد وجدوا هذه الشخصية الضعيفة فأخذوه وقلدوه وظيفة فى إدارة نائب المندوب السامى ، وفى سنة ١٨٧٦ م ، بعد موت أبيه ، زعم أن الوحى نزل عليه وأنه نبى هذه الأمة ، وكان قد تنبأ بموت أبيه ، ومن أهم مبادئ هذا الإنسان أن الوحى ينزل عليه ، وأنه نبى وأن له معجزات وقد أصابه الغرور وزعم أنه أفضل من بعض رسل الله ، وله كتب كثيرة زعم أنها وحى ، وقد ألف ولده محمود كتابا سمَّاه ( أحمد رسول آخر الزمان) وقد حكم المسلمون على هذا الإنسان بأنه كافر وأنه امتداد لمسيلمة الكذاب ومن سار على نهجه من الأدعياء .

## البابيــة

كذلك ظهرت فرقة البابية وهم يزعمون أن الله له باب ولا يجوز الدخول إلى الله إلاّ من خلال الباب . الذى ألف هذه النحلة هو (مرزا على محمد الشيرازى ) المتوفى فى تبريز سنة ١٨٤٨م وقد زعم هذا الكافر أنه المهدى المنتظر وأهم مبادئ البابية :

١- الحلول ، فهم يزعمون أن الله يظهر فى الأئمة .

٢- عدم الاعتراف بختم النبوة على يد سيدنا محمد .

٣- عدم الاعتراف بيوم القيامة وما بعده .

٤- إنكارهم معجزات الأنبياء .

٥- مناصرتهم لليهود مع تمنياتهم أن يحكموا العالم .

٦- الإسراف فى تأويل القرآن ، هذه الفرقة البابية انقسمت على نفسها وتفرع عنها :

## البهـائية

وهو لفظ أطلقه على نفسه كل من حسين على نورى الملقب ببهاء الله فسميت النحلة بالبهائية ، ثم تزعمها أحمد الإحسائى وقد كان أصله قسِّيسا فاستخدمه الاستعمار لتشوية محاسن الإسلام وتفريق صفوف المسلمين وقد انضم إلى أحمد الإحسائى ( كاظم الرشتى ) و كان هو الآخر قسيسا ولهم كتب كثيرة بثوا فيها أفكارهم الضالة ، ثم زعموا أن عدد (١٩) مقدسا لأنه حاصل جمع كلمة ( واحد ) وعلى حسب النظام اليهودى فى دلالة الأحرف على أرقام ، الواو تساوى ستة ، والألف تساوى واحد ، والحاء تساوى ثمانية ، والدال تساوى، أربعة، ولهذا فإن السنة عندهم ١٩ شهرا والشهر ١٩ يوما والصوم ١٩ يوما والصلاة ٩ ركعات والقبلة حيث يكون البهاء موجودا والحج إلى الكعبة باطل ، وهم يناصرون اليهود كالبابية، ولك أن تتأمل أن الإنجليز شكلوا في الباكستان القاديانية وفي العراق البابية

والبهائية ، وكأنهم يطوقون العالم الإسلامي من أطرافه لينشروا الفساد والضلال ؛ لأن هذه النحل كانت تسقط الجهاد في سبيل الله وتنادي بين الناس بالاستسلام والرضا التام لحكم الإنجليز لأنهم أفضل من غيرهم وأحسن ، ومع ذلك فهذه الدعاوى لم تؤثر فى التيار الإسلامى ولم توقف نشاطه فى يوم ما لأن المسلمين الصادقين كانوا ينظرون إلى هذه الملل والنحل ويقولون لهم ( سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ) وإذا كان الإنجليزى يربى بعض ضعفاء النفوس والخونة الذين لا يشعرون بالولاء إلى دينهم ، ولا يتذوقون طعم الانتماء إلى أوطانهم فإنه بين الحين والحين كانت تظهر شخصيات فذة تجدد الإيمان فى نفوس الناس وتزيل عنهم تجاعيد الماضى وأثر ما حدث من هؤلاء الخارجين على دينهم وتقاليد مجتمعاتهم ، وكما قلنا تلك طبيعة الحياة « صراع بين الخير والشر » والذى ينتصر هو الأصلح والأنفع لأنه كما يقول ربنا : ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾[الرعد : ١٧] .

## محاولة التشكيك

لا شك أن أعداء الدين ينتهزون كل فرصة لينالوا من المسلمين ولما كانت حرب المواجهة بالسلاح تهزم العدو إذن فلابد من التشكيك فى مبادئ الدين على مبدأ ( فرق تسد ) لذلك ظهر فى

المجتمع الإسلامى وفى عصر النبوة ما يسمَّى فى المجتمع المعاصر ( الطابور الخامس ) أى المضاد لأى تقدم وتحرر .

وهذا الطابور هو ما سمَّاه القرآن ( بالمنافقين ) وهم الذين يؤمنون فى أول النهار ويكفرون فى آخره ، والغرض من ذلك ليظهروا أمام الناس بالمؤمنين وفى آخر النهار يتعاملون بالربا ويشربون الخمر ويلتقون بالنساء فيقلدهم غيرهم من ضعاف الإيمان . وبهذا الأسلوب ينحرف كثير من الناس ويكون الفساد والضلال ولذلك عاقبهم الحق بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [ آل عمران : ٧٠-٧٢] .

وقد حذرنا الله من مصاحبتهم وعدم الجلوس معهم لأن خطرهم شديد فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾[المائدة : ٥٧-٥٩] . إنه من الأسلحة الخطيرة الفتاكة التى تضعف كيان المجتمع وتهزه بل وتقوضه أحيانا كذلك

الخلاف الذى يؤدى إلى الخصام والمشاجرة والتعصب وعدم الانقياد إلى الحق ، لهذا لجأ إليه أعداء الإسلام واتخذوه وسيلة لكن الإسلام يعناية الله محفوظ فكل ما يعمله أعداء الإسلام يعود عليهم وصدق الله العظيم : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [ الحجر : ٩]. والإنسان من حقه أن يعبر عن رأيه ، لكن القاعدة الإسلامية تقول ، الاختلاف لا يفسد للود قضية ، فإذا كان الاختلاف ظاهرة صحيحة فإن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وقد علمنا الإسلام أن نتعلم أدب الحوار ، ولا نجادل فى الأمور الثابتة التى تعتمد على نص صريح من القرآن أو السنة ، ومع ذلك يكون الاختلاف فى الفروع ، لكن كل شخص يفتى فيما تعلّم فيه ، ولا نتخذ الدين وسيلة لنناقش قضاياه ، مع مهندس زراعى ، أو صيدلى ، أو غير ذلك من غير علم ، بل علينا أن نقيم الحوار ، فى الدين مع علمائه . وفى الطب مع علمائه ، وفى الزراعة مع رجالها ، وفى الكيمياء مع رجالها . وفى الجيولوجيا كذلك المهم كل فى تخصصه ليستقيم الأمر ، وتحصل المنفعة ويكون العلم النافع الذى قاله لنا أهل الاختصاص وصدق الله العظيم : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣ ] . إن أعداء الإسلام يحاولون دائما أن يبذروا بذور الشك فى نفوسنا وأن يستغلوا نقاط الضعف فى عقولنا وثقافتنا ويحاولون دائما تقوية أصحاب كل مهنة للاعتداء على حق

أصحاب المهنة الأخرى وهذا تشتيت للجهد فإن فشل أعداء الإسلام فى ذلك حاولوا أن يأتوا لنا بالتوافه من الأمور ، مثل الساعة ، ألبسها فى يدى اليمنى أم اليسرى . الجلباب طويل أم قصير ، أبيض أم بنفسجى، الموسيقى ، حلال أم حرام ، الغناء حلال أم حرام، التصوير ، يدخلون معنا فى دوامة لا نهاية لها ، والمأساة . أن الذى يناقشك ، يتشيخ ويعلو صوته قبل أن يسمع الرد ، وقبل أن ينطق العالم بكلمة فى أى موضوع ، يتشيخ السائل ويقول قبل أن يسمع الإجابة ، لا ، وهنا نضرب كفا بكف ونقول صدق الإمام الشافعى الذى يقول : « لو جادلنى عالم لغلبته، ولو جادلنى جاهل لغلبنى » .

لذلك نقول لأبنائنا الشباب : الدين يسر ، لا تعقيد فيه ، وأنت يا أخى من حقك علينا أن تسألنا ، ومن حقنا أن نجيب ، لكن السؤال بلطف ، والإجابة بحكمة ، ومن حقك أن تعترض على الإجابة ، وإن اختلفنا فالفيصل بيننا كتاب الله وسنة رسوله وما أجمعت عليه الأمة . ثم نضع معايير التطور الاجتماعى والبعد الزمنى فإن أصر كلّ منا على رأيه فليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه . ولنَسرْ على كلمة الحق التى يكون فيها الدليل القوى والحجة البالغة ولا نتخذ سلاح العدو ليقتل بعضنا بعضا به (القتل المعنوى ) ولنعلم أن الواجبات أكثر من الأوقات . وأن الزمن يجرى وهو لا يرحم الضعفاء ولا يأخذ بيد الكسالى .

لذلك علينا أن نستثمر الوقت ولا نضيع أى دقيقة فيما لا يفيد وأن نعد أنفسنا لنركب قطار الزمن وهو ينطلق بسرعة وعلى أبوابه زحمة من العلماء والمفكرين ولنجعل لأنفسنا بينهم مكانة لأن من يتخلف عن ركوب القطار سوف تكنسه الأيام بمكنسة التاريخ وترمى به فى سلة المهملات ، لهذا قال الله لنا : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[آل عمران : ١٠٥] .

## الفصل الثالث

## الحركات المضادة

كل حركة إصلاح فى أى مجتمع ، يقابلها حركات مضادة ، وتلك طبيعة الحياة ونضرب مثلا بسيدنا محمد ﷺ . فعندما جاء برسالة سامية لإصلاح الإنسانية ، وقف الأعداء يناوءون ، وكانوا يتفننون فى إلقاء الأسئلة التى يثيرون بها الشك فى نفوس الضعفاء ، ولهذا صرّح الحق سبحانه وتعالى بأن الشيطان يخوِّف الناس من الإصلاح الاجتماعى يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . والشيطان هو كل شخص يدعو إلى الشر فهو شيطان ، ونضرب أمثلة على تخويف الشيطان من عمل الإصلاح ، مثلا ، الزكاة ، هي بالمقام الأول التزام دينى وركن من أركان الإسلام ، وعمل اجتماعى ، لأنها تقرب بين الطبقات وهى سبب مباشر فى نشر الأمن الاجتماعى ، عندما قال الله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٥] . تحركت عناصر الشر وتجمعوا وقالوا إن رب محمد افتقر ويطلب منا القرض ولن نعطيه ، فلما علم الرسول ﷺ بقولهم أنكروا ، لكن الحق سبحانه وتعالى فضحهم . وكشف سترهم وأنزل فى شأنهم

قرآنا يتلى ليوم القيامة فأنزل الحق ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[ آل عمران : ١٨١ ]. لكن المنحرفين الضالين عادوا يقولون بلون فكرى آخر : ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ [يس : ٤٧ ]. لذلك لا نعجب إذا رأينا شخصا كالقاديانى يزعم أن الله اختاره نبيّا لأن هذا الزعم وارد وعلينا أن نتوقعه فى كل زمان ، فهذه أمور لا تقلقنا ، لأن الإسلام قوبل بهجمة شرسة ، ( فكرية ) كالزنادقة والذين وضعوا الأحاديث على رسول الله ﷺ ، والذين فسروا القرآن بغير المراد منه ، لأن المفسر للقرآن له شروط ، ، والمجتهد فى الإسلام له شروط ، والمفتى فى المسائل الدينية له شروط ، وأعداء الإسلام كوّنوا فرقا وأنشأوا مدارس لكى ينالوا من الإسلام ، لقد حاولوا مرارا وتكرارا القضاء على اللغة العربية لأنهم يعرفون أن اللغة العربية لو ضعفت وانمحت معالمها ، فإن الإقبال على القرآن يقل وينصرف الناس عنه ، وإذا انصرفوا عنه فقد انصرفوا عن الدين ، وكانت اللغة العربية تُحارب بالدعوة إلى اللغة العامية وكتابة أحرفها بالحروف اللاتينية .

ولقد جندوا لها الرجال وأغدقوا عليهم ، كما أنفقوا الأموال الباهظة فى سبيل ترويج فكرهم ولقد صدر قرار فى مصر أثناء الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٩م بإرغام المصريين على أن يتلقوا

علومهم باللغة الأجنبية بدلا من اللغة العربية وما حدث فى مصر حدث فى البلاد العربية ، بل إن كمال أتاتورك نفّذ هذا بل حرّم تدريس اللغة العربية واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية وترجم القرآن إلى اللغة التركية وألزم الناس بالتعبد بها ، وقد أراد الاستعمار أن يقطع صلة العرب بالقرآن الذى أرادوا له أن يوضع فى متحف ولا يكون له أثر فى الحياة ولعلنا نسمع بين الحين والحين تعريب التعليم فى جميع المراحل التعليمية لكن مثل هذه الدعوات يقضى عليها سريعا ، لهذا نقول لكم يا شباب ، اعلموا أن الفكر الإنسانى عنده استعداد للتطور والنماء وأن الإسلام لا يصادم هذه الأفكار وإنما يناقشها ويقيم الحجة عليها . لكنه يقول لكم ، من فقد لغته فَقْد فَقَدَ هويته ، ومن تخلّى عن لغته تخلّى عن كيانه الاجتماعي ، ومن المعلوم أن اللغة العربية من أكثر اللغات انسجامًا وهى ولا ريب لغة القرآن واللغة القومية للأمة العربية ، فعلينا أن نهتم بها وأن نحافظ عليها ، نطقا وكتابة وفهما .

## إحياء القوميات

إن الإسلام إذا فُهم على حقيقته يتبيّن لنا أنه يدعو إلى وحدة الصف قال الحق سبحانه وتعالى فى ذلك : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] . لكن أعداء الإسلام

الذين حاولوا إيجاد شخصيات مهزوزة يزعمون أنهم أنبياء ثم أثاروا الشكوك فى نفوس بعض الناس ، ثم حاولوا القضاء على اللغة العربية وإحياء اللهجات المحلية لإبعاد المسلمين عن دينهم، لما فشلوا فى ذلك بدأوا يعملون على إحياء القوميات، وتستهدف الدعوة إلى ذلك إزالة كيان الأمة العربية المسلمة والتقليل من شأنها وإلصاق العيوب بها ونكران فضائلها، وإذا تم لهم ذلك فالغرض هدم الرسالة الإسلامية ، لذلك عمدوا إلى القرآن الكريم وحاولوا أن يزيدوا فى كلامه أو ينقصوا منه، لكن الله كشف أمرهم ، ثم عادوا إلى الحديث الشريف فوضعوا الكثير من الأحاديث . لكن الله سبحانه وتعالى قيض للحديث رجالا كشفوا زيف الكذابين، وفى عصرنا هذا يظهر التشكيك فى الشخصيات التى حملت إلينا الأحاديث ويحاول هؤلاء الكذابون خلق القصص والحكايات فى تشويه عمالقة الرجال .

إننا نوجه شبابنا ونقول لهم إن التفكير الشيطانى ابتكر وسائل جديدة لم تخطر ببال الذين سبقوهم لكن الفكر ممتد متشعب من بعضه، ولهذا نرى إفلاسهم وعدم قدرتهم على الوقوف أمام الرجال الذين أخلصوا لله ولرسوله ويعملون لصالح الإسلام فنرى الضعفاء من أتباع الفكر الفاسد يكتبون طعنا فى شخصية سيدنا محمد ﷺ ويختلقون الأقاويل بل وينادون بكتابة الشعر الحديث ويحاولون التشكيك فى كل شيء لكنا نرد عليهم بقول

الله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

إن الذين يحاولون تزييف التاريخ للقضاء على قيمنا وإثارة العديد من الشبهات حول القضايا المختلفة وهم يستهدفون بذلك هدم كيان الأمة العربية وبضاعتهم مفاهيم زائفة فى إطار براق خال من النهج العلمى يخفون وراء هذا المنهج التعصب الممقوت والحقد البغيض والتشكيك فى الثوابت من أمور ديننا وفى رموز الإسلام من الرجال الأبطال . إنهم بفكرهم الهدام يريدون إزالة الأدب العربي ومسح تاريخه الناصع بل هم يعملون على هدم أركان عمود الشعر العربى وأوزانه وقوافيه ، إننا نقول لهؤلاء ، إن الأسد ما زال فى العرين سليمًا قويًا ، لا يشغله ما أنتم فيه لأنه كما باء أباؤكم وأجدادكم بالفشل فالدائرة عليكم .

## أسباب قيام هذه الحركات المتنوعة

لكل حركة فى التاريخ موجبات وأسباب ، وقد ينتاب تلك الأسباب شيء من الاختلاط والاضطراب أو الغموض والخفاء لكنها فى النهاية تعمل تلك الحركات على إنضاج مُحصِّلة نهائية تمثل القوة التى تهدم كيان الإسلام الذى جاء يحمل فى مبادئه ثورة على الظلم والفساد والعفن الاجتماعى ، ووضع أحسن النظم لرقى المجتمع والنهوض به فى السياسة ، فى الاقتصاد ،

فى الإدارة ، فى الصناعة فى الزراعة ، إضافة إلى سُلّم الترتيب الاجتماعي ، وكان لهذا التغير انعكاساته الواسعة على إنماء وتطور درجة وعي الشعوب التى دخلت فيه ، ومما لا شك فيه كان هناك أصحاب المصالح الخاصة فى هذه الدول التى دخلت فى الإسلام ، كأمثال مسيلمة وسجاح وطليحة ، لأن فكر هؤلاء ممتد ولهم مدارس ورواد ، ولما كان سيدنا محمد ﷺ عربيًا صريح النسب والجزيرة أرض العرب ومهدهم الأول والقرآن بلسان عربى مُبين لكن أفق الدعوة الإسلامية يشمل الكرة الأرضية كلها ، بيد أن هذا التأكيد على عالمية الإسلام لم يخرجها من الأساس القومى الذى ارتكزت عليه ، والعرب كان لهم ثقل سياسي فى سُلّم الموقع بين الأمم مع تأكيد مسئولية العرب عن نشر الرسالة ، وقد قال الله فى ذلك : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وجاء كذلك قوله : ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف : ٤٤] . وقوله سبحانه : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الرعد : ٣٧] . وقوله سبحانه : ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ [ الأحقاف : ١٢] .

فالعرب إذًا هم مادة الإسلام الأولى وقد وجب التعامل معهم بأسلوب يكفل إنضاج العلاقة التكوينية بين العروبة والإسلام ،

لذلك كانت العناية باللغة العربية باعتبارها اللغة التى استوعبت القرآن ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : « إذا ذلّ العرب ذل الإسلام». وحديث آخر : « حب العرب إيمان وبغضهم كفر من أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى » . وحديث آخر : « أحب العرب لثلاث ، لأنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل الجنة عربى » .

فالذين يكرهون الأمة العربية فهذا الكره يقترن بالتنكر للإسلام كدين ورسالة وحضارة ، لأن عز العرب بالإسلام وعز الإسلام بالعرب،

إننا نؤكد أن نبى الإسلام، وهو عربى يحب الناس جميعا يكره التعصب ويمقت التفاضل لأن الناس كما عبّر هو ﷺ سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلاّ بالتقوى، لكن الذين تمتلئ أيديهم وجيوبهم بأموال الأعداء . كذلك أصحاب المنافع الخاصة والأغراض الشخصية والذين أخفقت بهم عقولهم المنحرفة حقدوا على العرب والإسلام وأصبحوا يخططون للنيل من الإسلام ويعملون على إحياء النزعات القومية ويقظة الشعوبية التى ماتت ويجددون الأفكار البالية لأهداف سياسية ومصالح شخصية . إن الاختلاف أمر طبيعى ومن المعروف أن المذاهب الاجتماعية والدينية لا تتخذ سبيلها إلى الظهور إلاّ بعد تقلب الإنسان فى الحضارة وإصابته قسطا وافرا

من الثقافة والعلم وإلى هذا أشار الحق سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]. وما دام الخلاف طبيعيا فى المجتمعات الإنسانية فلم يكن بد من أن تمر الأمة الإسلامية بمراحل من النزاع وفترات من الخلاف يمت بعضها إلى أمور فطرية وكثير منها إلى أسباب شخصية وحزبية ، لأن أسباب عدوى الخلاف تتسرب إلينا من المجتمعات الأخرى ولكن أعداء الإسلام يصدرون إلينا نقاط الضعف ويبتكرون أنماطا أخرى والغرض منها إفساد العقيدة الدينية ، وإفساد الذوق العام مثل :

## دا ربك افتكره

الشيعة هم الذين شايعوا الإمام على رضى الله عنه وهذا التشيع بمدلوله التاريخى الصحيح مُبرّأٌ من الانحراف مُنزّه عن الالتواء ، لو أُتيح للتشيع أن يبقى على صفائه ، من حب آل البيت الأطهار ، ودعوة الناس إلى تعاليم الإسلام صافية من ينبوعها الطاهر ، القرآن والسنة ، لظلّ الشيعة إلى يومنا هذا الطائفة القائمة على الحق من أمة محمد ﷺ ، لكن هناك بعض العوامل والظروف أسهمت إلى حد كبير فى تعكير ذلك النبع الصافى ، إنه ، الغلو ، سلاح الجهلة أعداء الدين ، فقد قامت فرقة من الشيعة تسمَّى ( الهشامية ) وأدرجت بين أقوالها نظريات

منحرفة عن أصول الدين وتعاليمه وغالت غُلُوا كبيرا بما تلقيه على الذات الإلاهية من ظلال التشبيه ومعانيه ، ثم قام رجل آخر هو محمد بن النعمان أبو جعفر وقال كذلك برأى كله خطأ وجهل هو ( البُداء ) ومعنى هذا أن الله يظهر له وجه المصلحة فى شيء كان خافيا عليه ثم يبدوا له ، . ثم قامت طائفة أخرى تسمّى ( الكيسانية ) زعموا أن الأموات يعودون إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، هذه الآراء لها مدلول فى فكر الناس إلى اليوم فالذى يجسد الإله مثل الذين يكتبون الكتب ويروجونها فى السوق وينفق عليهم أعداء الإسلام والأمثلة على ذلك كثيرة معاصرة وكل لبيب بالإشارة يفهم ، فإذا وجدت من يروج لكتب الجنس أو يقول عن المرأة بأنها معبودتى أو يجرى وراء المال بكل وسائله المتاحة فيفرط فى الصلاة ويهمل ويمنع الزكاة ولا يحج فإن سألته يقول لك ( هذه نقرة وهذه نقرة ) هؤلاء هم المجسدة وإن اختلفت أساليبهم وتنوعت صور أعمالهم ، وإلى هذا أشار الحق سبحانه : ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان : ٤٣-٤٤] . كذلك الشاب الذى يلبس فى رقبته سلسلة ذهبية أو يتحلى بساعة ذهبية المهم أنه يستعمل الذهب ويلبس الملابس التى تشف عن جسمه وتظهر لونه فإن قلت له يا أخى هذا حرام يقول لك : ( يا عم هوّ ربنا شايفنا ) ،

أستغفر الله ، إن الله يرانا ، ولا تختلط عليه الأصوات ، ولا تتشابه الصور ، كذلك الفتاة التى تلبس القصير الضيق وتضع المساحيق على وجهها والطلاء على أظافرها وتفلج أسنانها وتزجج حواجبها ، وهى ذاهبة إلى دور العلم ، ويا للطامة الكبرى أهكذا تكون دور العلم ، مباراة فى آخر صيحة فى الملابس ، وآخر صيحة فى تسريحة الشعر ، وآخر ما أنتجته مصانع البرفان ، أهكذا يكون طلب العلم ، لا ، والله ، لا يرضى بذلك عاقل أبدا ، لكن هل تضيع أساليب أعداء الإسلام وخططهم وهم يريدون لنا أن نعيش على جهل وانحلال خلقى لأننا إذا كنا تنبهنا لموضوع ( التجسيم ) فليتركوا هذا ويتجهوا إلى الأخلاق يهدموها ، وبينما الأمر كذلك تسمع من يقول : « دا فلان نايم يأكل رز مع الملائكة » لقد قلنا بأن الملائكة لا تأكل فكيف ننسب إليهم ما ليس فيهم ، وإذا مات إنسان نسمع من يقول : « دا ربنا افتكره » هل الله نَسيَهُ ، إن هذا الكلام يجر إلى الكفر لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤-٦٥] .

إن المغالاة فى الأفكار دائما تأتى من كلمات صغيرة لكنها تجر إلى الكفر والعياذ بالله ، كذلك فإن الذين قالوا إن الأموات يعودون إلى الدنيا بعد الموت ، هم يشبهون لمن قالوا بتناسخ

الأرواح ولكى يروجوا الفكرة فى أذهانهم أشاعوا ( تحضير الأرواح) ، والتنويم المغناطيسى وغير ذلك من الأمور التى تجعل الإنسان فى دوامة خاصة الذين عندهم أمية دينية ، والغريب أنك تجد أنصارا لكل هذه الدعوات ، وهى قديمة حديثة ، جذورها فى الماضى تمتص من فكر الذين مضوا وتطرح نتاج هذا الفكر بما يتلاءم مع المجتمع المعاصر ، إنهم فى الماضى عندما حاربوا العرب ولم يفلحوا بدءوا الآن يختلقون القصص والأقاويل ليقتلعوا من نفس الإنسان عامل الانتماء لقومه ووطنه وهم يلبسون الحق بالباطل ويغيرون وجه الحقيقة والقرآن الكريم وهو يعالج كل هذه القضايا يُبيّن لنا أسباب الفساد والانحراف فى المجتمعات ويوضح لنا الصورة على حقيقتها حتى لا تلتبس علينا الأهواء وحتى تكون الحقيقة ناصعة أمام عيوننا ، ثم يقول لنا الحق بعد ذلك : ﴿ **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ [الإسراء : ١٥]. إن تعاليم السماء أرشدت الإنسان منذ أن وطئت قدمه الأرض حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة ، فالرسول ﷺ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وكان دائما يردد : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » .

إننا ذكرنا أن حب آل البيت هو من الدين بمكان، مع احترام كل الصحابة وإجلالهم لأن الصحابة هم الذين نصروا رسول

الله وبايعوا النبي تحت الشجرة فرضى الله عنهم ولا نقول فى الصحابة إلاّ خيرا ( فى أى صحابى ) .

ولأن الرسول ﷺ قد شبه الصحابة بالنجوم بدأنا نحن نطلق كلمة نجم على الذى لا يصلى بل للأسف على الذى يرقص ويمسك بيده كأس الخمر ويدير موائد القمار لأن الأمور أصبحت تسمى بغير مسمياتها ، والإسلام وقد حرّم بيع الإنسان الحر وحرر الرقيق أصبحنا نسمع عن أن نادى كذا اشترى نجم الكرة الفلانى بمبلغ كذا ، وكم قلنا للناس بأن الحر لا يباع لكنها انتكاسة الإنسانية وبعدها عن الدين وقيمه .

## الصحبة

الإسلام يهدف إلى تكوين المجتمع الفاضل المتماسك المتحاب ، لذلك نرى أن من توجيهاته حسن صحبة الإنسان لأخيه . لأنه كما يقول ربنا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠] والإنسان عليه أن يتخير الأصدقاء الذين يصاحبهم ويجالسهم ويزورونه ويزورهم . وهذه الصداقات المفروض فيها أن تبدأ لله وتنمو وتترعرع لله أى أن تحب صاحبك حبا خالصا من أجل القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة لأن الصداقة إذا كانت لله دامت وقويت وآتت الثمرة المطلوبة من الصداقة ، ولهذا يقول رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء

ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله . قالوا فخبرنا من هم ؟ قال . هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس . وقرأ ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس : ٦٢]. رواه أبو داود، ( إن الصحبة تؤثر كل واحد يؤثر فى الآخر وأثر الصديق فى صديقه عميق ولهذا كان لزاما على المرء أن يتخير أصدقاءه فيختار الطيب الصالح حماية لخلقه ، والرسول ﷺ أمرنا بأن نتخير الجليس الذى نجلس معه فما بالك بالصاحب وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن يصيبك منه شىء أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه» رواه أبو داود، لهذا فإن الصحبة لله دون الطمع فى أى شىء عند صاحبك ترفعك إلى القمة العالية، وهذه الصداقة تدوم فى الدنيا والآخرة، يقول الحق سبحانه ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [ الزخرف : ٦٧].

أما صداقة الإنسان الغبى المفتون بعضلاته المغرور بماله الذى لايصلى ولا يقرأ القرآن فهو شؤم على صاحبه وقرين شر لأن الطبع يسرق من الطبع ، وللعدوى قانونها الذى يسرى فى الأخلاق كما يسرى فى الأبدان، وعدوى السيئات والجرائم أشد

سـريانا وأقـوى فتكا من غـيـرها ، فـالإنسـان يحـاول أن يقلد صاحبه، إن تنكر لعادات قومه فـهو معه وإن لبس قرطا ذهبيا قلده. وإن خـرج على العرف الاجتماعي سايره ولهـذا قال الله تعالى في أمثال هؤلاء ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]. لقد تنبه أعداء الإسلام إلى أثر هذه الصحبة وأرادوا أن يفرقوا صف الأمة ويمزقوا وحدتها ، وهذا أمر له جذوره التاريخية يبدأ من بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وآخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة أذابت الفروق ومحت العنصرية حتى قالوا جميعا :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

لهذا زج أعداء الإسلام ببعض أشخاص جلسوا بين الإخوة الأصدقاء وأشعلوا نار الفتنة وأججوا الخلافات وذكروهم بأيام الحرب التي كانت بينهم ،فقام المسلمون يضرب بعضهم بعضا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء مسرعا إليهم وقال لهم : « أيها الناس، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وقد هداكم الله للإيمان واستنقذكم به من الكفر»، فرجع المسلمون إلى صوابهم وعادوا إلى رشدهم وندموا على ما كان منهم وناداهم الحق سبحانه بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [ آل عمران : ١٠٠-١٠١].

واليوم تتشابه الصور ويشيعون فى مجتمع الصداقة جوا من القلق والخوف والاضطراب بحيث يفقدكل شخص الثقة في الشخص الآخر ، يقولون هذا جاسوس عليك لحساب فلان . وهذا شخص ينقل عنك إلى الأمن ما تتكلم به ، ويقول لك الحيطة لها ودان لا ترفع صوتك بالكلام ، وهنا يضطرب الإنسان ويشعر بعدم اتزانه وخوفه من أصحابه ومعارفه وتتوتر أعصابه، وهكذا . ينشأ مجتمع الخوف . ويعزل الإنسان نفسه عن مجتمعه فيصاب بالاكتئاب الفكرى والتمزق النفسى ، وهنا يتلقفه الأعداء بالحنان ويأخذون بيده إلى المجتمع المغلق . الهيبز . عبدة النار . رواد المخدرات وفى وسط ذلك يزجون عليه النساء مع الموسيقى الصاخبة والأغانى التى تحرك الغرائز بكلماتها وهنا يقع الإنسان فى بؤرة الفساد ولا يستطيع الخروج منها . وكان الأعداء ينفقون عليه فى أول الأمر باعتباره صيداً ثمينًا . ثم يكفون أيديهم بعد أن يكون الزبون قد أفلس وأدمن . أدمن كل شيء فيه فساد . ولا يستطيع التخلص وهنا يدفعون به ليكون . قوّاداً . أو تاجر شنطة ، المهم أنه أفلس وضاع ، وأصبح فى حالة من التمزق والانهيار وقد استسلم لكل يد تعبث به ، لذلك نقول

احذروا أساليب الذين يفسدون فى الأرض والذين ماتت ضمائرهم ويحسبون المال سيخلدهم فى التاريخ . وقد قال عنهم ربنا ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾ [سورة الهمزة] .

لهذا ، ظنّ بالناس خيراً فإن الظن السيئ عاقبته وخيمة ولاتصاحب إلا تقيا ، ولا تمشى إلامع من يذكرك بالله رؤيته ، الذى يقدم لك النصيحة يقودك إلى الطريق الصحيح ويساعدك على فعل الخير ، وإياك إياك أن تصاحب البلطجى أو النفعي أو الأناني فطرقهم الندامة وأنت تريد السلامة .

## العلمانية والعلمية

جاء فى القاموس الإنجليزى أن كلمة علمانى تعنى :

١ ـ دنيوى أو مادى ٢ ـ ليس بدينى أو روحانى ٣ ـ ليس بمترهب أى ليس ( بعابد ) .

وجاء فى نفس القاموس ( العلمانية ) هى النظرية القائلة أن الأخلاق والتعليم يجب أن يكونا غير مبنيين على أسس دينية ) ، وفى دائرة المعارف البريطانية جاء عن العلمانية ، أنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية

بالدار الدنيا فحسب ، وتذكر دائرة المعارف البريطانية أيضًا عن العلمانية أنها ، إلحاد لأن العلمانية مذهب من المذاهب الفكرية ترقى إلى عزل الدين عن التأثير فى الدنيا فى شتى جوانب الحياة، السياسية، والاجتماعية. والاقتصادية، والأخلاقية، والقانونية ونحن نعلم أن الإسلام دين ودولة لأن قيمه وتعاليمه وشرائعه تدخل فى مجال الإصلاح الإنساني ، وإذا كان الغرب قد فصل الكنيسة عن الحكومة فهم يريدون لنا أن نسير على نهجهم ونقتفى أثرهم ولذلك لا نعجب إذا سمعنا من بعض المسلمين وهم يطالبون المجتمع بالعلمانية ويقولون بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو الآن محصور فى الطقوس والشعائر الروحية ولا علاقة له بالسياسة والدولة . ثم يزعمون بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة الحديثة ولا يواكب التطور ويحاولون دائما تشويه الحضارة الإسلامية ويعملون على تضخيم حجم الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامي ويعملون بكل ما لديهم على محو التربية الدينية والثقافة الإسلامية من مراحل التعليم كافة ، لماذا كل هذا ؟ يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ١٨] .

وأنت أيها الإنسان العاقل المتدين الذى تعرف ربك لا تغتر بهذه الكلمات التى يرددونها فى وسائل الإعلام على سمعك

صباحا ومساءً ، لأن الإسلام الذى تؤمن به ليس مغلقا على معلومات معينة بل دين منفتح على كل المعارف والعلوم مادامت تقدم حقائق واضحة وتستهدف مصلحة الآخرين ، والإسلام ينادى دائما بتحقيق المصلحة العامة ومراعاة البعد الاجتماعى والتطور الزمنى دين تقدم وتطور وحضارة يطالبك أن تعمل لدنياك كما تعمل لآخرتك ويجعل نشاطك الذى تبذله لتحقيق مصالح الدنيا جهاداً فى سبيل الله مادامت الغاية نبيلة والأسس نظيفة .

ومعجزة الإسلام تخاطب العقل والإسلام ليس فيه سلطة مقدسة ، لذلك فهو ليس بجامد فى قيمه وتشريعاته وليس فيه كهنة يتحكمون فى مصائر الناس ، إن الإسلام ليس منغلقا على معلومات معينة ، فهو يمقت الرهبانية التى تعطل مصالح الدنيا وليس فيه خرافات وأباطيل ، لذلك فهو يحترم العقل ، وهذا الشعار ظهر فى القرن السابع عشر ثم كان القرن التاسع عشر فيه مواجهة عنيفة بين العلمانيين الذين تغلغت المادة فى نفوسهم وفتنوا بالعلم التجريبى ، وكان ذلك بسبب رد الفعل للمعاناة التى عاناها العلماء من رجال الدين الكنسى وسلطانهم فى زمن التخلف الذى نسبوه إلى الدين حيث ظهر للعقلاء أن أى دين سماوى صحيح برىء من هذا التخلف ، لكن ، ظهر فى هذه الفترة ( كارل ماركس ) الألمانى و (روفيلا دى ميرالفوليا نوف

لينين ) الروسى الذى هلك عام ١٩٢٤ ، وهؤلاء روجوا لهذا المذهب وتلقفه كثير من قيادات الدول الشرقية وانبهروا به اعتقادا منهم أن إقصاء الدين عن النشاط السياسى والاجتماعى وسيلة إلى التقدم والحضارة ، وهذا الفكر هو امتداد لفكر الغرب المادى الإلحادى الذى ظهر وتبناه الكثير من أعداء الدين وكان مذهبهم يقول ( ما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر ) والقرآن الكريم عبّر عن كل ذلك بقوله سبحانه ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [ الجاثية : ٢٤ ] . ويقول ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [ المؤمنون : ٣٧ ] .

لكن نرد على هؤلاء ونقول لهم إن الإسلام دين ودولة مصحف ومصنع مسجد ومتجر ، ونقول لهم ما قاله الحق ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا

وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٧ ـ ٧٢] .

إن العلمانية دعوة إلى الإلحاد لأن عقيدتهم الطعن فى حقيقة الإسلام وبتر آيات القرآن وتشويه مقام النبوة وانتقاص قدر العرب وتشويه تاريخهم وللعلمانيين أساليب متنوعة يقدمونها إليك فى صورة نكتة أو قصة أو رسم كاريكاتير . كذلك عليك أن تحذر أساليبهم ، فترى الواحد منهم يجلس معك يشير بيده إلى الشبشب الذى يدخل به دورة المياه ويقول لك . ناولنى خدوجة ، أو ناولنى زنوبة ، أو ناولنى فطومة ، أو عيوشة . ولك أن تتأمل فى هذا الأسلوب الرخيص أطلقوا أسماء أمهات المؤمنين على الشباشب . والغريب أن المسلمين بدأوا يرددون هذه الألفاظ ، ثم يتركون ذلك ويقولون ذلك ويقولون للشباب تزوج عُرفى . وما دامت الفتاة قبلت أن تهب نفسها لك و أنت قبلت فهذا زواج ، وا مصيبتاه ، لقد خدع بعض الشباب فى هذه المقولة ، وبعد أن تخسر الفتاة شرفها وعرضها تبحث عن حبيبها فلا تجده وتكون المصيبة أكبر لو حملت لأن الشاب يهرب منها ولا يعترف بالجنين ، وقد يموت أبو الفتاة من الصدمة ، وهكذا يتفسخ المجتمع المسلم بسبب العلمانية وتكون

المصيبة أعظم عندما يتأخر المجتمع صناعيا وزراعيا حيث يروجون إشاعات تقول ، المرتبات من الحكومة حرام لأن مال الحكومة من البنوك ، والبنوك تتعامل بالربا وبها رأس مال صالات القمار والرقص والخمر وإن سألت أى شاب ممن يردد هذا الكلام تقول له ما مؤهلك يقول لك دكتوراه فى طب الجهاز الهضمى أو الصيدلة أوالزراعة أو الكيمياء ثم يتبع كلامه ويقول لك . الحمد لله أنا تركت العمل وأقوم الآن ببيع المساوك والسبح والكتب والروايح، أو يقول لك أنا سائق تاكسى أجرة ، وعندما تنظر إليه بتعجب وتقول له .كيف تترك مهنتك وتعمل هذا؟ يقول لك ، أنا لا أريد أن ألوث مالي بالحرام ، أقول له ، الذى يشترى منك، أو يركب معك التاكسى. أليس يدفع لك مالاً ؟ يقول نعم، من أين جاء بالمال ؟ يقول هو حر، نقول له يا أخى هذا فهم سقيم وتنطع فى دين الله ، يا أخى عد إلى عملك واستثمر علمك وتعاون مع أمتك لتصد التيار الفكرى الشرس الذى يحاصرها من كل جوانبها ، ويريد أن يهدم الكيان الدينى الصحيح فى نفوسنا ، إن العالم العربى مطالب اليوم أن يستيقظ من غفلته وأن يعيد حساباته ، ونطالب القادة أن يضعوا القوانين لإعادة الهيبة والمكانة للغة العربية ووضعها فى موضعها الصحيح وإزالة آثار العدوان الذى سطا على أسماء شوارعنا وميادينا وأسماء المحلات وأن نعيد كتابة تذاكر الطيران باللغة العربية

وأسماء الفنادق والمستشفيات وأن تكون هناك صحوة فى مصانع الأدوية وكليات الطب وننادى على شبابنا (احذروا التقاليد التى تفد إليكم وانتبهوا إلى الأصوات التى تهمس فى آذانكم ولا تصاحبوا أحدا من العلمانيين لأن مرضهم خطير أخطر من السل والإيدز على الجسم)، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

إن أساليبهم متنوعة وعندهم صبر ولو أنهم بذلوا هذا الوقت لخدمة و نشر الفضيلة لكان خيرا وأفضل . إن الأمة التى تستورد طعامها من أعدائها محكوم عليها بالضياع . وهؤلاء منهم أهل الزراعة ومنهم الطبيب البيطرى ونحن فى حاجة إلى ذلك لنستغنى عن الإستيراد للقمح والفراخ المذبوحة والثورة التى يقيمها هؤلاء عن صحة الذبح فإن قلت لهم انزلوا إلى الميدان تلكأوا وتهتهوا وجاءوا بالأقاويل وهكذا . أمورهم مضطربة وشعارهم ملتو وأغراضهم خبيثة وضميرهم ميت . لهذا علينا أن ندرك هدفهم ونفضح أمرهم ونقول لهم الإسلام دين عمل، دين صبر، دين ابتكار فى الأداء أما السلبية والانعزالية فأمور مرفوضة لا يقرها دين ولا عقل .

## الجمعيات الخيرية

الإنسان بفطرته مجبول على حب الخير ، والإسلام بهديه

دعانا إلى فعل الخير ورغبنا فى العمل الاجتماعى التطوعى ، ورائدنا فى ذلك سيدنا رسول الله ﷺ فلقد شارك وهو صغير فى (حلف الفضول) وهو يشبه الجمعيات الخيرية الآن التى تسهم فى إطعام الجائع وكساء العارى وكفالة الأيتام ومناصرة المظلوم وتقديم العلاج إلى المريض المحتاج إلى غير ذلك من أعمال البر العام، ولعلنا نذكر أن المسلمين عرفوا قيمة عمل الخير وأهدافه النبيلة ، لذلك أوقفوا الأوقاف التى تنوعت فى أهدافها حتى شملت الحيوانات الأليفة، وأنت عندما تقرأ حجج الأوقاف تعجب لأن أهل الخير سدوا كل ثغرة اجتماعية بحيث لو طبق نظام جمع الزكاة مع إدارة الأوقاف إدارة سليمة لكفى ذلك كل محتاج ولم نجد متسولا ولا إنسانا تطارده الشرطة ولا من ينام على الأرصفة وتحت الكبارى وتعالوا نتحاكم إلى التاريخ ، ألم يحدث فى عهد عمر بن عبد العزيز أنهم لم يجدوا فقيرا معدما ولم يجدوا إنسانا جاهلا ولا شابا أعزب ولا عبدا يشترونه لذلك تضخمت الأموال فى بيت المال والسبب كما قال الدارسون (دقة التنظيم ، وإحكام التخطيط ، وعدالة التوزيع ) ، عرف أعداء الإسلام حب المسلمين لعمل الخير فاتجهوا إلى إنشاء جمعيات ليشوهوا عمل الخير .

فأنشأوا جمعية أطلقوا عليها :

١ ـ الماسونية : ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . وهذه

الجمعية أسست سنة ١٧١٧م وكان شعارهم ( الحرية ، الإخاء ، المساواة ، وجاء فى نشرة ماسونية صادرة فى لندن سنة ١٩٣٥م (إن أمنيتنا هى تنظيم جماعة من الناس يكونون أحرارا جنسيا نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية) ولذلك أسسوا نوادى للعراة فى دول كثيرة وسعوا بكل وسيلة لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية. وكانت الماسونية تشترط فى قبول الأعضاء أولاً أن يكونوا من اليهود ثم اتسع نشاطها وقبلت كل من ينضم إليها إذا تعهد بعدم التزامه بالدين - أى دين - لأن من أغراضها :

أ- المحافظة على اليهودية .

ب- محاربة الأديان عامة والكاثوليكيين خاصة .

ج- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

وحتى لا يفتضح أمر الماسونية وللحض على انتشارها بشكل أوسع ظهرت الماسونية تحت عناوين مختلفة فأنشأت فروعا متعددة منها :

## ١- الروتارى

أنشئ سنة ١٩٠٥م ويهدف إلى :

أ- توسيع مدى التعارف لإتاحة الفرصة للخدمة .

ب- بلوغ مستوى خلقى سام فى الأعمال والمهنة .

ج ـ تمسك كل روتارى بمبدأ الخدمة فى حياته الشخصية العملية والاجتماعية .

د ـ تعزيز التفاهم والنية الصادقة وحب السلام ، .

وهذه الأغراض فى شكلها وفى جملتها شيء عظيم لكن . شعارالأعضاء ( الأديان تعرفنا والروتارى يجمعنا ) وهو شعار الماسونية ثم إن الروتارى وضع الأديان كلها فى مستوى واحد بصرف النظر عن ما هو سماوى وأرضى وفى ذلك كما يقال غسل للعقول لأنه يجعل الدين مع النظم الإجتماعية شيئًا واحدًا ومن ينضم إلى هذه الأندية يجد أن اللمسة الروحية ينقص هذه النوادى ونحن نؤمن بأن الإسلام بأفكاره خطط لنا ذلك وأكثر فلما نتطفل على غيرنا ؟ ونترك ما جاءنا به الإسلام . هناك كذلك .

## ٢ - الليونز

تأسس سنة ١٩١٥م .

هذه أندية مشبوهة تعمل ضد الدين وتبعدك عن حب الوطن والانتماء إليه وتغرس فى قلبك كراهة الإسلام والمسلمين ، إننا نقف أمام هذه الأندية وننادى كل شاب وشابة ونقول لهم لا تخدعكم الشعارات البراقة واعلموا أن ما يصلح للغرب لا يصلح لنا لأن كل مجتمع له ظروفه الخاصة وقيمه المستمدة من

دينه وعادات قومه المتوارثة . فهم فى الغرب إن كانوا يعيشون على ( السندوتش أو الهمبرجر أو لحم الخنزير ) فهذا لا يتفق معنا لأننا شعب يحب المجتمع ونريد أن نتناول الطعام جمعا ونرفض كل شيء حرمه الدين والخير الذى دعانا إليه الروتارى- الإسلام يغنينا عن كل ما سواه . لأنهم فى الماسونية والروتارى والليونز يقدمون الخدمة ووراء ها هدف سياسي هو تكوين دولة يهودية تقود العالم وتحكمه ولذلك جاء فى دائرة المعارف الماسونية الصادرة ١٩٠٦ ( يجب أن يكون كل محفل رمزًا لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلا لملك اليهود وكل ماسونى تجسيدًا للعامل اليهودى) هذا هو هدفهم ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى كتاب (الماسونية بين الشيعة والصهيونية ) تأليف الدكتور عفيفى إبراهيم حسن .

### ٣ - الشيعة

ذكرنا لك فيما تقدم أن الشيعة هم الذين أحبوا الإمام على بن أبي طالب ، زوج السيدة فاطمة الزهراء ، وأحبوا آل البيت حبا عظيما ، وكلنا نحب آل البيت لكنه الحب المعتدل الذى ليس فيه غلو ولا تطرف ، وقد نشأ مبدأ التشيع فى مصر فى زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ثم أخذ طريقه إلى العراق الذى كان

ملتقى التصارع الفكرى والحضارى والفلسفى . ومما لاشك فيه أن أهل البيت أمر الله بمودتهم وحبهم لما جاء فى القرآن الكريم ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[الشورى : ٢٣] .

وإذا ما تصورنا أن التشيع بدأ بفكرة الحب وأن هذه المحبة أصبحت هياما والهيام أصبح عشقا و العشق أصبح غلوّا وتقديسا . الأمر الذى يجعلنا نقف أمام مبدأ الشيعة ونحلل الأمر ، وعسير علينا أن نحدد الوقت الذى ابتدأت فيه النواة الأولى لفكرة التشيع ، ونحن لا ننكر دور الإمام على رضى الله عنه وأهل البيت جميعا ويكفى أنهم أقرباء النبى ﷺ وعلى رضى الله عنه خدماته للإسلام معروفة ويكفى أنه الفدائى الأول الذى نام فى فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وله مناقب غير ذلك كثيرة ويكفيه فخرا وشرفا أن النبي ﷺ اختاره زوجا لابنته .

## المعتدلة

لاشك أن الشيعة ينقسمون إلى طوائف كثيرة منهم المعتدلون و هم لا يرضون عن غلو الغالين ويرون أن عقائد الغلاة منحرفة عن الدين وأن الذين غالوا أخذوا من فلسفة اليونان وحكايات الهند و قصص اليهود ورووا أقاويل الزنادقة . من هؤلاء :

١ ـ الإمامية : وهم الذين قالوا بإمامة اثنى عشر إماما من آل البيت . ويسمون بالإثنى عشرية وبالموسوية ، وهذه الفرقة

انقسمت بعد ذلك إلى ( الإسماعيلية ) وهم الذين استمروا على العهد والتبعية لإسماعيل بن جعفر الصادق ، و( الموسوية ) وهم الذين شايعوا موسى بن جعفر الصادق ، ومن مبدأ الإمامية أن الإمام ( حسن العسكرى ) لم يمت وأنه دخل سرداباً فى ( سامرا ) وسيرجع بعد ذلك باسم ( المهدى المنتظر ) .

## أصول مذهبهم

هذه الفرقة انحرفت فى مسيرتها وغوت وضلت لما يأتى :

١ ـ أنهم يكفرون الصحابة ويلعنونهم ، لأنهم لم يولوا (عليا) بعد وفاة النبى ﷺ .

٢ ـ يدعون أن القرآن الموجود فى المصاحف ناقص لأن بعض الصحابة حذف منه ما يخص الإمام على وذريته ، وأن الإمام الغائب (المهدى المنتظر) سيأتى بالمصحف الكامل عند خروجه .

٣ ـ الجهاد ضد العدو غير مشروع لغيبة الإمام .

هذه هى أهم الارتكازات والاعتقادات وغيرها كثير وأنت ترى أنها كلها فساد وانحراف .

## الإسماعيلية

هذه الفرقة تدين لإسماعيل بن جعفر الصادق وتقول هذه الفرقة بـ :

١ ـ تناسخ الأرواح ٢ ـ الحلول ، أى أن الإله يحل فى الإمام

ولذلك فإن من مات من أئمتهم تحل روحه فى شخص يولد فى التو والساعة . وقد انقسمت هذه الفرقة إلى :

**أ ـ البهرة** : وهذه الفرقة تعترف بأركان الإسلام الخمسة الواردة فى حديث رسول الله ﷺ ( بنى الإسلام على خمس . شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ) .

لكن فرقة البهرة تزيد ركنا سادسا هو ( الطهارات ) ويتضمن هذا الركن تحريم الدخان و الموسيقى ومشاهدة الأفلام السينمائية وسماع الأغانى وما شاكل ذلك ، وهذه الفرقة يجمعون الظهر والعصر فى وقت واحد وكذلك المغرب والعشاء ، ولا يصلون الجمعة .

**ب ـ الفرقة الثانية : ( الأغاخانية )** نسبة إلى زعيمهم (أغاخان) وهذه الفرقة تزعم أن الإمام معصوم ظاهرا وباطنا وقبل أن يكون إماما وهو مؤيد بالمعجزات وخوارق العادات . ويحيطون أئمتهم بهالة من التقديس ،

## النصيرية

ظهرت هذه الفرقة وارتكزت على دعائم تُبعدها عن الدين الصحيح . لأنهم قالوا بألوهية متحدة الحقيقة مثلثة الأجزاء . فالألوهية عندهم معنى وحقيقة ، وهو ( على ) ، وللألوهية اسم

وحجاب وهو (محمد) ، ولها باب ( وهو سلمان ) ثم لهم تعريفات على ذلك كثيرة فالعبادات أسماء لأماكن . والأشهر الحرم هى فاطمة والحسن وعلى ابنه - والقيامة عندهم قيامة المحتجب صاحب الزمان . ثم بعد ذلك أهم مبادئهم :

١ ـ الولاية لعلى ٢ ـ عصمة الأمراء ٣ ـ التقية وهى إخفاء عقيدتهم ومجاراة الآخرين ٤ ـ علم الباطن . فهو فى زعمهم مختص بهم .

ثم يأتى بعد ذلك : -

## الدَّروز

بفتح الدال المشددة : وهم أتباع أبى محمد الدّرزى .

تقوم عقيدتهم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمى ، الذى أعلن عن تأليهه سنة ٤٠٨ هـ واعتبروا ذلك مبدأ لتاريخ عندهم ، ومبادئهم سرية لا يصرحون بها .

وليس لهم مساجد بل خلوات خاصة لايدرى ما يجرى فيها ولايصومون رمضان ولا يحجون إلى الكعبة ولا يورثون البنات ولا يقرون تعدد الزوجات .

تلك أنماط من آراء الغلاة ومعتقداتهم التى حُملت على الشيعة مع أن أصول مذهب الشيعة ينكر ذلك وإنصافا للتاريخ ولحقائقه نؤكد تبرؤ الشيعة المعتدلين ، والحق الذى نؤمن به أن

هؤلاء المنحرفين والمغالين والمتطرفين وجدوا في مناخ اجتماعي خاص وظروف بيئية ، وقد يكون دفعهم إلى ذلك ظروف سياسية واتخذوا حب آل بيت رسول الله ﷺ ستاراً يخفون وراءه ما شاءت لهم أهواؤهم الخبيثة ، والذى يدخل السرور على أنفسنا في القرن العشرين أن هذه الهجمات الفكرية الشرسة ، مع ما صاحب ذلك من هجوم عسكرى قاده التتار مرة ، والصليبيون مرات ، واليهود مرات ومرات ومع ذلك بقى الإسلام يعلن على العالم أجمع ، أن عناية الله حفظته ، وأن الأزهر على الأرض دافع عنه ، لذلك رأينا هذه المناوشات وبقى الإسلام شامخا كالطود يتحدى الزمن بنظمه العظيمة وقيمه الأصيلة ، إنك تعجب عندما ترى هذه الانحرافات في الفكر والإطناب في الآراء وهذا الاستنباط وهذه الفرق المتعددة التى ذكرنا بعضها ومع ذلك فالحمد لله لم يستطع هؤلاء وأولئك أن يغيروا الحقيقة أو يشوهوا الوجه المشرق للإسلام ، وعندما تقرأ في فكر هؤلاء ترى أنهم استمدوا من الذين قدّسوا النار وعبدوها أو الذين ألّهوا كونفوشيوس وأخذوا من تعاليم زرادشت . فالتاريخ يعيد نفسه بأسلوب جديد ونمط مختلف وفي الأول والآخر هم ، حزب الشيطان ، و هو الحزب الخاسر الملعون .

## ٤ - الخوارج

قصة ظهور الخوارج على مسرح الحياة معروفة في التاريخ ، وتبدأ هذه القصة عندما حدثت معركة صفّين بين على ومعاوية ، وقام فريق من أتباع الإمام علي وطلبوا منه أن يقبل التحكيم ، فحدث أن عُقد التحكيم برئاسة « أبى موسى الأشعرى » نائبا عن على « وعمرو بن العاص » نائبا عن معاوية ، وانتهت عملية التحكيم بخلع الإمام علي والذين طلبوا من الإمام علي قبول التحكيم هم الذين خرجوا عليه فسُمّوا بالخوارج ، وبعد أن كونوا أنفسهم طوال مدة حكم معاوية فقد بدأ نشاطهم يظهرفي العهد الأموى وخلاصة آرائهم تدور حول الإمامة وشروطها ، وهم يتشددون في ذلك ولايتساهلون ومن خالفهم في الرأى فهو كافر ، ويُبيحون الخروج على الإمام إذا ظلم أو جار وفرقهم تزيد على العشرين ، ولهم مناظرات مع خصومهم ، وأشهر فرقهم :

١ ـ الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق .

٢ ـ الصفرية : أتباع زياد الأصفر .

٣ ـ النجدات : أتباع نجدة بن عطية بن عامر الحنفي .

٤ ـ البيهسية : أتباع أبى بيهس الهيصم بن جابر .

٥ ـ الإباضية : أتباع عبد الله بن إباض المرى .

ولا شك أن هذه الفرق هى الأخرى كان لها هدف دينى

وسياسي وقد نشأت في ظروف خاصة وإن كان قد محى بعضها لكن مازال هناك بقية في عمان والجزائر وشرق إفريقيا .

## المعتزلة

من خلال ما قدمناه والصور التى عرضناها يتبيّن لنا أن الخلاف طبيعة الوجود الإنسانى ، واختلاف الآراء ظاهرة من ظواهر المجتمع البشرى وضرورة اعتداد كل فرد بعقله واعتزازه برأيه ، والمجتمع الإسلامي الخاص ضمن المجتمع البشرى العام تكثر فيه الآراء والمذاهب ، لكن في النهاية لا يبقى إلاّ الصحيح ، وعلى الرغم من كل هذا وتعدد المذاهب وكثرة الآراء وكانت ا لدواعى من وراء ذلك متنوعة بين ، السياسة ، العصبية ، القبلية والمآرب الشخصية ، وصاحب ذلك دوافع علمية وثقافية وسلوكية ، ونشأ في ظل ذلك فرق ومدارس للمتكلمين والفلاسفة والمتصوفين ، فإن مع ذلك ألفت كتب ونشأ في الأوساط غير الإسلامية أضخم من كل ما قدمناه وأكثر عددا وكان عندهم مايؤهلهم لنشر أفكارهم على قارات الأرض لأنها تستخدم من وسائل الدعاية أساليب جديدة سخرها لها العلم ورصدت لها الميزانيات الضخمة إلى جانب الحرية الفكرية وحرية التنقل بحيث لا يكون هناك حدود ، مع كل ذلك بقى الإسلام بنصاعته وكماله وملاءمته للتطور الاجتماعي ومع ذلك لم ييأس

أعداء الإسلام ، فقد دسّوا إلينا ومن خلال فكر المعتزلة فرقًا أخرى، والمعتزلة هم الذين اعتزلوا جماعة المسلمين، وتحت هذا البند يكون هناك من هؤلاء، اعـتـزال المجـتـمع الذى يعاصرونه، وقد نشأت المعتزلة كمدرسة في التاريخ أيام ( الحسن البصرى) عندما قال اعتزلنا ( واصل بن عطاء ) وارتكزت دعائم هذا المذهب على :

١ ـ القول بخلق القرآن
٢ـ نفى رؤية الله تعالى يوم القيامة
٣ ـ نفى القدر
٤ ـ القول بالمنزلة بين الجنة والنار
٥ ـ نفي الصفات

ومن خلال ذلك انقسموا كذلك إلى مدارس وهى :

١ ـ الجبرية ٢ ـ القدرية ٣ ـ المرجئة .

**الجبرية** : هم الذين قالوا (هل الإنسان مسير أم مخير ) .

**والقدرية** : هم الذين يخوضون في القدر وقالوا إن الإنسان يقدر على أعمال من تلقاء نفسه ولا يكون الباعث عليها إرادة الله

**والمرجئة** : هم الذين أرجؤوا الأمر إلى الله إن شاء عذّب و إن شاء غفر .

## وقفة

آثرنا أن نذكر لك هذا أيها الشاب ، لتعرف أن ما يدفع به أعداء الإسلام الآن إلى الساحة الاجتماعية مستغلا الأمية

الدينية المنتشرة ، إنما يستهدف بذر بذور الخلاف والشقاق وشق عصا الطاعة على الوحدة الإسلامية ، لذلك أطلقوا لفظ (الجماعات الإسلامية ) والإسلام لايعرف الجماعات وإنما يعرف جماعة واحدة ، ثم يقولون عن المتطرفين الذين يخطفون السلاسل أو الشنط من أيدى النساء ورقابهم ، أو الذين يخطفون الإناث، ويهتكون الأعراض، يقولون عن هؤلاء بأنهم (المتطرفون الدينيون)، يا سبحان الله ، الدين لا يعرف التطرف ولا يقره كما أنه لا يقر الجماعات لأنه دين يدعو إلى الاعتدال ويحرم السرقة وخطف الإناث بل الإسلام يطلب من الحاكم بأن خاطفى الإناث يجب أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ليكونوا عبرة لغيرهم، ومن يتزوج الزواج العرفي يقام عليه حد الزنا لأن كل ذلك إفساد في الأرض .

إنه من خلال الصور التاريخية التى عرضنا لها لمن زعموا أنهم أنبياء أو الذين ساهموا في إنشاء مذاهب معينة انحرف بعضها عن الصراط السوى، نعلن أنه ليس في مقدورنا أن نستنتج كل آراء الفرق المختلفة، وإنما غرضنا الوحيد إلقاء ضوء على نماذج من الحركات الفكرية بكل ما صاحبها ولاصقها واكتنفها وإن أردت المزيد فارجع إلى أمهات الكتب لأن من حق الإسلام علينا أن نقرأ ونقرأ ثم نعلن بعد أن نرى ما دوّنه التاريخ في سجله الخالد، أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأنه فوق كل تلك

الفرق والمذاهب والآراء لأن هذه الفرق والمذاهب أخذت بعض أساليب اللاهوت علاوة على أقوال الفلاسفة الملحدين وما سطره اليهود والزنادقة .

إن كتاب الله وسنة رسوله قد حددا للمسلمين معالم العقيدة الصحيحة مُبرّأة عن التعقيد وأن ما يعترض الإنسان في مسيرة حياته من مشاكل اجتماعية أو عالمية يجد لها الحلول في دين الله بيسر وسهولة ومع ذلك فإن ماجاء في القرآن والسنة شيء عظيم، لأنه يخاطب العقل ، ويحرك الوجدان ، ويدفع الطاقات البشرية إلى البناء والتعمير على هدى من الفكر المنير والمنطق السليم . لذلك ، فلا مجال فيه للثرثرة الفارغة والجدل العقيم . إنه القرآن الكريم فوق هذا الركام كله من الآراء المتناقضة التى يحاول أصحابها طبعها بطابع الوحى الإلهى وإلباسها لباس الروح ، إن كتاب الله صوّر المؤثرات الحقيقية في خلق هذا الوجود وأحال الخلق على آثار الخالق ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[يونس : ١٠١ ] ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾[سورة ق : ٦] ﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** ﴾ [الحجر : ١٩-٢٠ ] .

إن القرآن أحال الخلق على آثار الخالق ولم يحلهم على العقل وحده ، ولا على الطبيعة وحدها ، ولم يتركهم في ضلالهم

يعمهون ، ومصطلحات القرآن الكريم في وصف حقيقة الألوهية شديدة الإيحاء خلية من جفاء المصطلحات الكلامية وعمقها فهو الله رب العالمين وهو غاية يسعى إليه كل من في الوجود وأنه منفرد بخصائص الألوهية لذلك يخاطب القرآن الإنسانية فى أشواقها للمعرفة ويجيبها عن أسئلتها كلها ويمنحها تصوراتها الحقيقية ويرد الوجود كله نشأة وتحولا وامتدادا وتطورا إلى الإرادة الإلهية الأزلية الأبدية ( الله ) ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] . ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] . ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[الرعد : ٨) . وعلى هذا الأساس يسود علاقات الخلق بالخالق أخلص معانى العبودية لله ولا مشاركة له في ملكه ، ولا والد له ولا ولد ، ولا صهر ولا نسب ، إذ الكل يقر بالعبودية لله الخالق القادر الرازق الذى بيده الملك وإليه الأمر و هو على كل شيء قدير ،

لذلك كل من في الوجود في السموات أو في الأرض من نبات وحيوان وإنس وجن وملائكة كل هؤلاء وغيرهم كثير مما لا نعلم يسبحون بحمد الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٤٤] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٤٩ ـ ٥٠]، إن الله هو المعبود بحق وهو سبحانه وتعالى فعال لما يريد لا يعجزه شيء في هذا الوجود .

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[ فاطر : ٤٤ ] .

لايتم في هذا الكون شيء إلاّ بعلمه فإليه يرجع الأمر كله وهو سبحانه لا تختلط عليه الأصوات لأنه عليم خبير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] . كما أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فالحبة الرمل والقطرة الماء وأوراق الأشجار لايخفى ذلك على الله منه شيء ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد : ٩ ] . ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام : ٥٩ ] .

إنه سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى وقد سمى نفسه بها وأمر عباده أن يدعوه بها ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأعراف : ١٨٠]

ويقول أيضا ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١].

والرسول ﷺ رغّب أصحابه بإحصاء هذه الأسماء وفهم معانيها حين قال « إن لله تسعة وتسعين اسماً . مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » حديث صحيح متفق عليه .

إن هذه الأسماء تؤكد ، بعباراتها الأدبية الموحية وصورها الحية الناطقة وأنغامها العلوية الرفيعة ، أن الله واحد في ذاته لاقسيم له وواحد في صفاته لا نظير له وواحد في أفعاله لا شريك له ، ومن يتدبر معانى هذه الأسماء الحسنى ويدع ظلالها الموحية تلاحقه في أقواله وأعماله وتصرفاته ويلهج بذكرها في قرارة قلبه يدرك تماما أنه يتعامل مع إله موجود عليم حكيم ، عندئذ يدرك الإنسان أن قلبه عامر بقوة فاعلة إيجابية مؤثرة ويدرك حاجته إلى محاسبة نفسه على ماقدم من خير أو شر قبل أن يحاسبه ربه الرقيب الحسيب ويطابق الإنسان كل حركة من حركاته وكل تصرف من تصرفاته بحيث يتطابق ذلك مع ما يتلوه من آيات الله البينات فيترجم عن إيمانه بما يرضى الله في واقعية إيجابية وفي تقدمية مستمرة وفي زهد القادرين ثم يجاهد

بالنفس والمال لا يعيش سلبيًا في حياته ولايحلّق في خيال وإنما يعيش على أرض الواقع بالعمل الجاد الذى يخرجه إلى واقع الحياة وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[ الحجرات : ١٥ ]. إن على الإنسان أن يتحكم في نفسه وإرادته الشخصية ليهتدى إلى الخير في ظلمات الحياة وليس له وهو عرضة للتأثرات الوقتية ومحدود بالزمان والمكان أن يسأل الله عما خلقه ومالا يخلقه وعلى نسبة الخير والشر فيما خلق ولا عن صور الكائنات وكيفياتها وعلاقاتها وارتباطاتها فكل هذا يرجع إلى الله الذى لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل، والله سبحانه الذى خلق الإنسان وسوّاه و ركّب كيانه ومنحه طاقات نشاطه الفكرى والجسدى ، هذا الإله الخالق نبّه الإنسان على أنه وحده عليم بحقيقته وبمايُصلح شأنه وبما يؤهله لذلك قال سبحانه ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤ ].

إن الإيمان بالله يغمر النفس الإنسانية بالسعادة والرخاء ويضفى عليها الأمن والاسقرار ، والإيمان بالله الواحد يملأ قلب الإنسان بالرضا بما قسم الله له والقناعة بما أعطاه الله وصدق الله العظيم ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد : ٢٨ ].

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

وقوله سبحانه ﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

ويقول أيضا: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢].

ومن أجل أن يعيش الإنسان في سعادة حرّم على الإنسان السرقة حتى لا يروّع أحد أحدا وأمر الإسلام بقطع يد السارق جزاء ما ارتكب من العبث بحق الآخرين والاعتداء عليهم وحتى يكون قطع يد السارق زجرا لمن تسول له نفسه ولهذا قال سبحانه ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

كما حرّم الزنا وأمر بعقوبة الزانى والزانية حفاظا على كرامة الإنسان من أن ينتهك شرفه ويعتدى على عرضه وحتى لاتختلط الأنساب وتضيع الحقوق على أصحابها وتتفشى الأمراض المعدية وتنتشر الأوبئة الفتاكة.

لذلك شدد الله العقوبة على الزانى فقال ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ

إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٢].

وإذا كان الإسلام قد حرم ذلك وجرّمه فإنه كذلك حرّم قتل الإنسان ونهى عن أن يركب الإنسان سيارة وهو لا يعرف القيادة أو يركبها وهو متوتر الأعصاب، أو وهو متعاط لأى لون من ألوان الحبوب أو الأدوية المنشطة أو المثبطة أو المهدئة أو وهو شارب للخمر، في نفس الوقت أمر الإسلام باحترام القواعد المرورية التى تضعها الدول وقال لك لاتكسر إشارة مرور حتى لا تتسبب في إزعاج الآمنين وترويع العابرين، كذلك نبّه الإسلام على أن القاتل لا بد أن يُقتل، قصاص عادل ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

والقتل قد يكون عمدا وقد يكون خطأ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٩٢-٩٣].

إن المجتمع الفاضل الذى ينشده الإسلام مجتمع يقوم على المحبة والمودة والالتزام بأوامر الله وصيانة الحقوق .

وأنتم يا شباب عليكم أن تعرفوا أن العلم في الصغر كالنقش على الحجر ومن تعلم صغيراً ، ساد كبيراً ، وما قدمناه لكم ، يضع أمام أعينكم أن الإسلام دين المجتمع يضع أمام أعينك الأسس السليمة بعد أن يحسّن صلتك بالله الواحد حتى تكون من الراشدين ، والفضل لله وله الحمد .

## الوجودية

أعداء الإسلام ، وأعداء العروبة ، وأعداء تقدم منطقة الشرق الأوسط دائمًا في شغل شاغل بسبب محاولة ، إفساد الذوق العام وجر شباب هذه المنطقة إلى دوامة الأفكار التى يبثونها عندنا ، علما بأن هذه الأفكار لاتروج عندهم لأنها بضاعة كاسدة ، لهذا كلما أوقدوا ناراً للحرب في هذه المنطقة أطفأها الله، في أوائل الستينات قام جماعة من الصحفيين بدعوة ( جان بول سارتر ) الذى ولد عام١٩٠٥ وهلك في منتصف ١٩٨٠ وهللوا بوجود هذا الرجل في مصر وكنت يومها حديث التخرج فى الجامعة الأزهرية وكنت دائما أبحث في الصحف عن الإعلان عن محاضرة لأى شخص وكنت أذهب إلى هذه المحاضرة ، والتقيت بهذا الرجل الذى أقيمت حوله ضجة على

أنه العالم الفذ وللأسف وجدنا فكر هذا الرجل ينطوى على أوهام مثل :

١ ـ تقديس الحرية الشخصية فكراً وسلوكا .

٢ ـ عدم الاهتمام بالناس .

٣ ـ الإنسان هو صانع وجود نفسه .

٤ ـ يظهر من حديثه التشاؤم والقلق والتمزق النفسى .

٥ ـ لا يعترف بوجود الله ولا يعترف بالرضا و القدر .

٦ ـ لا يعترف باليوم الآخر ، والبعث بعد الموت .

خرجنا يومها من المحاضرة ونحن نتساءل ماهى ديانة هذا الرجل ؟ فقالوا لنا، هو (وجودى ) ، فقلنا وكيف تسمح الدولةلمثل هذا بنشر أفكاره ؟ قالوا ، المعرفة، والوقوف على الصراعات الفكرية التى تجرى في العالم، تجمعنا يومها (مجموعة من الشباب) وكتبنا مذكرة وقلنا، لا حاجة للمجتمع الإسلامي إلى استيراد مثل هذه الأفكار إلاّ بعد بلورة أفكارهم من خلال الجهة الداعية ونشرها علينا أولاً لنعد أنفسنا لمناقشته .

لأن الإسلام الذى نؤمن به يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة، ونحن نؤمن بما علّمنا الله في كتابه ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] . فالمسلم مطالب أن يعيش في حياته وعنده ثقة

فى الله ، وثقة في قدرته النفسية ويعيش وفى نفسه أمل ممتد لغد يشرق بالخير والنماء والسعادة والهناء وشعاره ما قاله الحق سبحانه ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف : ٣١-٣٣].

إن الوجودية التى أصبح لها مدارس ، تعلن أن الشخص حر ، ونحن نقول لهم هذا حق ، لكن هناك ضوابط لابد أن ينضبط الإنسان عليها لأنه يعيش في مجتمع مع الآخرين ، فلو كانت الحرية مطلقة لعمت الفوضى وتشابك الناس، إننا نرفض فكرة التشاؤم ولا نجعل اليأس يتسرب إلى نفوسنا أبدا لأن ثقتنا في الله كبيرة وعندنا أمل في الله واسع حيث أمرنا أن ننطلق في الدنيا نعمر ونبنى ونرضى بقضاء الله وقدره .

أما إنكار البعث فقضية قديمة ، تكلم فيها العرب منذ بدء الإسلام ورد عليهم القرآن وبيّن خطأ تفكيرهم وانحرافهم عن الجادة، يقول الحق سبحانه عن هؤلاء الجهلة ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [الصافات : ١٥-١٨]. ويقول أيضا على لسان هؤلاء ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [سورة ق : ٣]. والحق يرد عليهم ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ

الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ [سورة ق : ٤-٥ ].

ففكرة الوجودية بعدم البعث مستمدة من فكر الأولين ، ولقد كان يجلس بجوارى دكتور علم نفس فحلل شخصية ( جان بول سارتر ) فقال إنه شخصية منعزلة عن المجتمع منطوٍ على نفسه لديه إحساس بالتمزق الداخلى وشعور بذنب ارتكبه لأنه يحاول أن يتخطى حدود نفسه ويخدعها بمواقف تتصف بالتميع ، لهذا ، كانت الوجودية مذهبا منحرفا لا يتفق مع أصحاب العقيدة الإسلامية ولايرضى به عاقل لأنه يقوم على أسس خاطئة كلها ضياع للشخص .

لكن مما يؤسف له أن ا لذين استخدموه عندما أحسّوا بخيبتهم بدءوا يكتبون عن ( الهيلاهوب ) وهى عبارة عن طوق يضعه الإنسان في وسطه ويهتز كالشخص التافه تماما ، ثم بدءوا يتحدثون عن (تحضير الأرواح ) في سلّة وبدأ بعض الناس من التافهين يحمل في يده إما طوق الرقص وإما سلّة التحضير ، ثم بدءوا يكتبون عن تناسخ الأرواح وأن الميت فلان عاد إلى الحياة وأخبر عن قاتله أو سارقه أو مغتصبى ابنته ، وهكذا ، ذلك لأن الوجودية عندما فشلت في فرض وجودها بدأت تحت مفاهيم أخرى والغرض خلق جيل من الشباب يتمرد على قيم دينه وعادات قومه ، والخروج عن عرف المجتمع ولو أدى ذلك إلى

صراع دموى، لكنه كان هناك حكماء عقلاء يوضحون لنا ويبينون، وكنا نسمع ونطيع لأن ما يقوله لنا الحكماء يتفق مع ما نقرأه في أمهات الكتب ومانؤمن به من أنه حق ويتفق مع منطق العقل .

واليوم والعالم اليوم أصبح كقرية صغيرة من خلال السماء المفتوحة وما تبثه من برامج مسموعة ومرئية، علاوة على شبكة (الانترنت) والشباب مشغول بهمومه حيث العديد منهم يعيشون في بطالة ، بل ويرى أمامه ، التفرقة في المعاملة، فهل نستطيع أن نقدم العلاج من خلال القرآن لشبابنا ؟

## نعم

لأنه يقول لك إن السماء المفتوحة مفتاحها بيدك فأنت الذى تستطيع أن تتحكم فيما تحب أن تشاهده ، وأنت عندك إرادة مع حريتك، واعلم أن هناك قيما وآدابا يجب أن تتمسك بها إذا كنت وحدك أم مع الناس وتؤمن برقابة الله عليك ، وهو الذى يراك، وهو الذى سيحاسبك في يوم آت لاريب فيه .

## أما البطالة

فإن الإسلام دعاك إلى العمل، ثم أمر الأغنياء أن يجمعوا زكاة أموالهم ليقيموا بها المشروعات الإنتاجية ليحولوا الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة، ونحن ننادى على الأغنياء ونقول

لهم أنتم تخرجون الزكاة ( نعم ) لكن هناك أشخاص حرفتهم أن يأخذوا الزكاة من أكثر من خمسين شخصا ، وهؤلاء يعيشون حياة البزخ والترف والكسل لكنهم في المجتمع يلبسون البالى المرقع وكما قال عنهم كتاب (صانع العاهات) أنهم يختلقون بعض العاهات الظاهرة أو يحملون أطفالهم صغاراً أو يقدمون إليك ورقة أو يقوم الشباب بمسح السيارات عند إشارات المرور إلى غير ذلك من الحرف المعروفة ، وهؤلاء جيش كبير ، فلو أن الناس امتنعوا عن إعطاء هؤلاء وجمعت أموال الزكاة والصدقات في وعاء واحد بحيث يكون هناك صندوق في كل محافظة ولا يتم صرف أى قرش على العاملين وإنما توجه الحصيلة إلى بناء مدن جديدة في الصحراء باسم المحافظة ، استصلاح أراض وكل محافظة تجمع شبابها ويكون هناك عدالة التوزيع ، وفي أثناء التعمير والبناء يكون ذلك على أكتاف الشباب وبأيديهم ، إن الإنسان يحزن عندما يسمع بأن الشباب الذين يسافرون إلى الخارج يقومون بأعمال لاتتفق مع شخصيتهم كغسل الأطباق في الفنادق ومسح الطرقات والمداخل وبيع الصحف والجرائد وعندما يعود الشاب من الخارج يأتى وقد أدمن السجائر وانحرف بغريزته وأصبح يعيش في مجتمعه زائغ البصر مضطرب النفس قلقا يشعر بالغربة في وطنه والاستيحاش وهو بين أهله والسبب عدم التخطيط الجيد للأخذ بيد الشباب من خلال المال الضائع والجهد المبعثر .

إن الإسلام ياشباب لا يغفل أبدا عنكم فهو بتعاليمه يحوطكم بالرعاية والعناية ويقول لكم لاتيأسوا .

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد

عسى نكبات الدهر عنك تزول

وقد دعاك الإسلام إلى أن تستعمل عقلك وتفكر في أى مشروع وأن تستثمر وقتك ولا تتوقف وإن سمعت أن زميلك الذى أقل منك كفاءة تم تعيينه فى و ظيفة كذا ، بمرتب كذا ، هذا لا يجعلك تيأس لأنك إذا استسلمت لليأس كان الفشل أما إذا قلت ( إيه يعنى ) أنا بكرة - إن شاء الله - هاشتغل ، وأنجح بعون الله ، وربك المعطى يعطى كل شخص ما يستحقه المهم أن تكون عندك عزيمة وإرادة وحب للحياة وتخطيط بدقة والنهوض بأداء العمل وعدم الكسل لتصل إلى ما تصبو إليه .

واحذر أن يشغلك التليفزيون أو الانترنت فتضيع وقتك وتقتل روح العمل فيك ، ومع ذلك فلا مانع من أن تجلس أمام التليفزيون أو الانترنت من باب الترويح عن النفس والتخفيف عن العقل وإدخال البهجة إلى النفس وتجديد خلايا مخك وتهدئة أعصابك ، ثم تستأنف عملك بعد ذلك بقوة ومهارة ، واحذر فكر أعداء الدين وأعداء الإنسانية مثل :

الرسول ﷺ مدحه الشعراء ومنهم أحمد شوقى القائل :

الاشتراكيون أنت إمامهم    لولا دعاوى القوم والغلواء

الاشتراكية تعنى عدالة التوزيع لأن الناس شركاء في ثلاثة (الماء والهواء والكلأ ) فالاشتراكية إذاً نظام تعاونى قائم على جعل الوسائل الرئيسية للإنتاج والتوزيع ملكا للمجتمع ، ليكون لكل شخص فرصة عمل ، فيتحقق من وراء ذلك مستوى المعيشة مع الضمان الاجتماعى لكل معوق ، وهذا النظام معروف من قديم الزمان فالرسول ﷺ مدح الأشعريين بأنهم إذا كانوا في سفر وقلّ طعامهم وشرابهم جمعوا ما بينهم ثم اقتسموه بالسوية ، كذلك كان المسلمون في غزوة بدر الكبرى كل ثلاثة أشخاص لهم جمل واحد يتعاقبون عليه حتى النبى ﷺ كان له شركاء وقالوا يارسول الله اركب أنت ونحن نمشى فقال لشركائه ( ما أنتما بأقوى منى على السير ، وما أنا بمستغن عن الأجر ) أعداء الإسلام عرفوا هذا النظام الذى يحقق الأخوة وينشر العدل ويقيم دعائم المجتمع قوية راسخة من الحب والتعاطف والمروءة والإحسان .

فهل يرضى ذلك أعداء الإسلام ؟!

لا ، إذاً لابد أن يفكروا ويخططوا ويعملوا بكل ما لديهم على هدم هذا النظام التعاونى ، فقام شخص يسمى ( كارل

ماركس ) الهالك ١٨٨٣ قالت عنه موسوعة( المعرفة ) ص (٦٠٨ ) أن هذا الشخص من أسرة يهودية متوسطة الحال تحول أبوه من اليهودية إلى المسيحية ١٨٢٤ ، درس ( كارل ماركس ) القانون والتاريخ والفلسفة وحصل على الدكتوراه ١٨٤١ ، وكان يعيش في ألمانيا ، ولما ظهر نشاطه وآراؤه السياسية توجه إلى فرنسا لكنه طرد منها بسبب انحراف الفكر ، فذهب إلى (بروكسل ) ولحق به صديقه ( انجلز ) وكتبا معًا بيانا عن الشيوعية ملخصه أنه يدعو العمال إلى الثورة والاستيلاء بالقوة على جميع الأجهزة السياسية والاقتصادية وكان هذا البيان ١٨٤٨ فاشتعلت أوروبا بالثورات فهربا (ماركس وإنجلز) إلى ألمانيا ثم أخذا يطوفان في البلاد إلى أن استقر بماركس المقام في لندن حيث مات بها وقبر ١٨٦٧ وهذا الكتاب يعد بحق أعظم وثيقة في تاريخ الاشتراكية قامت على أثره ثورات كثيرة وكانت ثورة روسيا التى قادها (لينين ) و (ترتسكى ) وكانا من التلاميذ الأوفياء لماركس وكانت الثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧ ، وأعلنت أنها تتمسك بالشيوعية في وسائل الإنتاج ( الأرض ، ورأس المال ، والعمل ،والقضاء على الملكية الخاصة ومناهضة الإقطاعيين ) هذه هى الدعامات والأسس التى قامت عليها الثورة لذلك أيدها الشعب المطحون الذى كان يعيش في جو من الاستبداد والقهر والظلم والحرمان ،ونسبوا ذلك إلى الاشتراكية ظلما وعدوانا .

## مبادئ الشيوعية

أعلنت الشيوعية عن مبادئها فيما يأتى :

١ ـ لما كان الدين أفيون الشعوب لأنه يزهد في الدنيا ، وكان الأفيون معروفا في ألمانيا آنذاك بأنه مخدر وقاتل للألم ، ويزرع في النفوس الخضوع للقضاء والقدر والرضا بالأمر الواقع وعدم السعى لتغيير الوضع الاجتماعي وعدم الكفاح لمناهضة الظلم ، لذلك تعلن الثورة البلشفية أنه ( لا إله والحياة مادة ) لذلك يجب الكفر بجميع الأديان ومكافحة سلطان الكنيسة بالذات .

٢ ـ جاء في الموسوعة السوفيتية الطبعة الثانية ١٩٦٤ مجلد ٢٢ ما نصه ( إن القرآن من عند محمد ) .

٣ ـ قال لينين في مؤتمر الشباب الشيوعى المنعقد في أكتوبر ١٩٣٠ ما نصه : ( إننا معشر الشيوعيين لا نستمد قوانين الأخلاق والسلوك الاجتماعي من أوامر الدين ، لأننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب التى تنفصل عن المجتمع البشرى ، ونرى أنها خداع وتضليل .

٤ ـ تنكر الشيوعية أن تكون هناك سنن موضوعة من الدين للوجود ، وعلى هذا فعلى الفقراء أن يقوموا بثورة على الأغنياء ويأخذوا ما عندهم بالقوة وبالصراع الدامى ولو أدى ذلك إلى إهدار كرامة الأغنياء .

ونحن لا نستبعد أن تصدر مثل هذه الأفكار من رجل أصله يهودى وانفصلت أسرته إلى المسيحية، و هذا النظام الشيوعى بدأ يصدر ضده نقد من أقرب الناس إليه فقد جاء في جريدة الأهرام بتاريخ ٣١/ ٨/ ١٩٨٥ نقلا عن جريدة (ألفاينا نشيال تايمز) ما نصه ( إن القضاء على الملكية الخاصة لما كان مثبطا للهمم مساعدا على عدم المبالاة قاضيا على روح التنافس فقد لجأ الروس إلى العودة إلى احترام هذه الملكية بعد أن رأت العواقب الوخيمة من جراء القضاء عليها ، فقد أفردت جريدة ( أزفستيا ) مساحة كبيرة لتجربة لفسح المجال لقدر أكبر من الحافز الفردى في مجال مشاريع الخدمات وأشارت إلى تجربة حدثت في (استونيا ) حيث سمح لرجال الصيانة بالاحتفاظ بمكاسبهم من عملهم في أحد محلات إصلاح أجهزة التليفزيون ليمولوا المشروع بأنفسهم ، وظهر أن الجهاز الذى كان يستغرق إصلاحه قبل ذلك حوالى أسبوعين لكنه الآن أصبح يتم إصلاحه في ثلاثة أيام على الأكثر كماقام العمال بإصلاح إدارى لجذب الزبائن إلى المحل وقد ارتفعت أرباح المشروع بنسبة من ١٠ - ١٥٪ عن ذى قبل ) .

إنه على يد الشيوعية حلّ الشقاء في المجتمع الروسى حتى نشرت الصحف في عهد جربتشوف تقول ( إن لم تكف السلطات السوفيتية عن محاربة الدين فإن إدمان الخمور لن

يتوقف ، فقد أصبحت (الفودكا ) هى المهرب من المعاناة وذلك يهدد الإنتاج ويهدد الأسر بالانهيار ، لقدأصبحت الشيوعية هى الإله الذى فشل في توفير الخبز لعباده ، لقد خربت الشيوعية البلاد وقضت على الإنتاج ، لذلك انهارت وتفككت وأصبح قادتها يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حيث ظهر أن الدين الإسلامي بالذات باق فى كثير من الولايات ، ولقد قام الصراع الدامى في ( البوسنة والهرسك والشيشان ورأينا الجنود الإسلاميين وهم يحملون السلاح ويعلنون الجهاد ويصلون صلاة الخائف في الحرب ويجمعون ويقصرون وكأنهم علماء الأزهر والحمد لله .

## مناقشة الشيوعية

أعتقد أننا لسنا في حاجة إلى مناقشة مبادئ الشيوعية لأننا نؤمن بأن الدين من عند الله ، وليس غريبًا على المجتمع الإنساني فلقد تلقى آدم كلمات من ربه وترادف الأنبياء من بعده حتى ختمت الرسالات برسالة سيدنا محمد الذى سار على أعقاب الأنبياء ورفع راية التوحيد وأعلن أنه مبلّغ عن الله والدين الذى حمله الأنبياء جميعا يعلن أن الله واحد وأن أتباع الأنبياء عليهم أن يؤمنوا بالبعث بعد الموت وبالحساب على الأعمال كما أنهم يؤمنون بقضاء الله وقدره وأن الله يدبر الأمر على سنن حكمته

وتقـدير منظم منضـبط بحكمـة الله وتقـديره وأن كل واحـد في الكون له حقوق وقد أمرنا الله كل واحد يحترم حق الآخر وأن حل الصراعات يكون عن طريق الصلح بين الناس وعدم تسليط الفقراء على الأغنياء بل نقول لكل واحد ( وقل اعملوا ) وأن كل شخص مطالب أن يسهم وبقوة في النهوض بالمجتمع من كل نواحيه الاقتصادية والتجارية والسياسية والثقافية والصناعية والزراعية لتحقيق سعادة الأمة والنهوض بها مع ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس من الشورى والتناصح وصيانة حرية الفرد في حدود المصلحة العامة والاحتفاظ بكرامة الإنسان .

إن الفكر الإنسانى قاصر عن صياغة ما يلائم المجتمع وينهض به لذلك كـان لابد من الرجوع إلى وحى الله الذى أنزله على سيدنا محمد ﷺ وحمّله أمانة التبليغ والإنسانية يوم أن تعود إلى كتاب الله يعود إليها الأمن المفقود ، ويوم أن تلتزم بهدى نبيّها وتسير على خطاه ، في التعليم والإعلام ستجد السعادة الحقة والأمن والاستقرار .

قلّب بصـرك في سـمـاء العـالم وسلّط أذنك على لسـان المجتمعات ، وقل لى بربك ، ماذا ترى ؟ وماذا تسمع ؟ ستجد الصراعات الدامية هنا وهناك والقلق والتوتر وستسمع فحش القول ، وأين مجلس الأمن؟ وأين محكمة العدل الدولية ؟

وأين هيئة الأمم المتحدة بكل أروقتها وأجهزتها ؟ إن كل ذلك في يد من يملك الفيتو؟ أين من يوقف تنفيذ أى قرار ولمصلحة من يتم ذلك ؟ إنه لحساب المنفعة الشخصية ، فمصانع الأسلحة عندهم تنتج ويريدون أن يروجوها . لمن ومع من؟ للشعوب النامية .

والتى يسمونها على استحياء ، الشعوب النامية ، وهل من سبيل إلى خلاص ؟

نعم : « ياشباب » بكم ومعكم ، يوم أن تتسلحوا بالعلم والمعرفة وتتزودوا بشمولية الثقافة المتنوعة ، وتعلموا أن تنتجوا ما بلادكم في حاجة إليه ، لأنه قيل ( أنا لا ألوم أهل الباطل على تحركهم . لكنى ألوم أهل الحق على تخاذلهم ) .

يا شباب كونوا كما قال لكم ربكم ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٩ - ١٤٠] .

احذروا يا شباب ما يشغلكم به أعداؤكم واعلموا أن العلم خير زاد فتزودوا به وثقوا في الله وفي نصره فهو سبحانه القائل ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر : ٥١] .

# الخاتمة

إن الذى يحب أى إنسان يقدم له النصيحة وأفضل نصيحة نقدمها إليك أيها الشاب في ختام ما قدمناه أن تتزود بالأخلاق الكريمة النبيلة لأن الإسلام أقام دعوته على أساس متين من الآداب العلمية ومكارم الأخلاق ونبيل الصفات والفضائل العالية من، المروءة ، والشجاعة في الحق والتواضع للزملاء ، عدم التجبر على الضعفاء، التعاون مع الغير ، التسامح الحلم ، سعة الصدر ، كظم الغيظ . إلى غير ذلك من الآداب التى يجب أن تتحلى بها . كإلقاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف والرسول ﷺ يقول ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) إن الأخلاق التى حملها إلينا سيدنا محمد ﷺ أصل كل خير ومفتاح كل تقدم وسبيل كل فلاح . فما تقدمه المجتمعات فى مدارج الكمال إلا بصلاح الأخلاق لهذا كان اهتمام الإسلام بالأخلاق والدعوة إلى التمسك بها قويا وواضحا في نصوص القرآن وفي نصوص السنة النبوية ، لقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه وقال له يارسول الله ما الدين ؟ ( قال حسن الخلق، فأتاه من قبل يمينه . فقال يارسول الله ما الدين ؟ ( قال حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل شماله ، فقال ما الدين ؟ قال : (حسن الخلق ، ثم أتاه من ورائه . فقال يارسول الله ما الدين ؟ ،

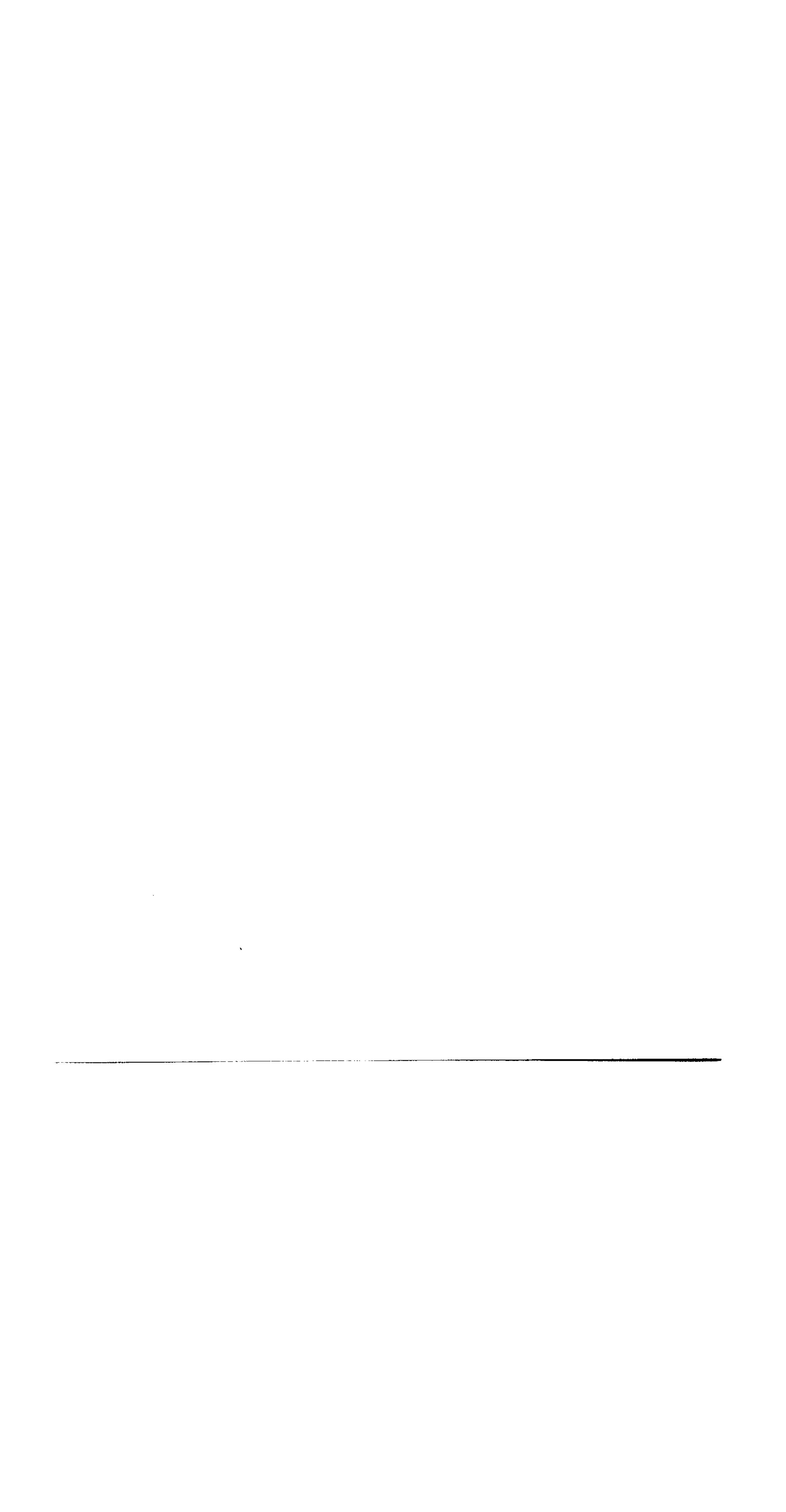
فالتفت إليه وقال أما تفقه . هو أن لاتغضب ) هذا هو الدين حسن الخلق وهو بالاختصار كما حدده ﷺ ( أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك . وتعفو عمن ظلمك ) ولقد قال الرسول ﷺ لرجل عندما قال يارسول الله أوصنى ، فقال له ﷺ : ( اتق الله حيث ما كنت . قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها . قال زدنى . قال خالق الناس بخلق حسن )

إن أفضل الأعمال كما يقول الناس ( الأدب مفضل عن العلم ويقولون نصف عالم بحسن خلق أفضل من عالم بغير خلق )

إن الشباب الذى يواجه نفسه في هذا العصر ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظن بعض الناس أنهم قادرون على أن يمتلكوا الأرض في أيمانهم بما وصلوا إليه من منجزات العلم ومعالم الحضارة إذا بنا نسمع عن زلزال مدمر وسيول من الماء تجرف وبركان يتفجر وتفقد الإنسانية أمنها ويستولى القلق على الأفراد والشعوب ، فإذا لم تكن من هذه الآثار فإن الحرب التى تلقى بظلالها على بعض المناطق التى يحاول بها العلماء أن يجربوا منتجاتهم في الإنسانية مما يدل على تفشى الظلم وانتشار العدوان وتصاب بعض الشعوب بالمجاعات ببينما الطعام عند الدول الظالمة يقدم للحيوانات أو يرمى في المحيطات وسبب ذلك فقدان الفضائل وعدم الالتزام بالأخلاق وسيطرة قواعد الغاب . وما لاشك فيه أن الأمل معقود على الشباب لأنهم كل الغد

فموقعهم فيه قيادة العالم . لهذا كان عليكم يا شباب أن تعرفوا أن الإسلام الذى نؤمن به يرفع راية السلام ويدفع الناس إلى أن يتعرفوا على مبادىء دينهم وقيم شريعتهم وأن يتمسكوا بالآداب العالية حتى يكونوا قادة عظاما لمجتمع الخير والسعادة والرفاهية إن شاء الله .

والله ولى التوفيق



# فهرس الكتاب

## المحتويات



* * *

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١